Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9) Issue (3) March(2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

شعر أبي العلاء المعري في ميزان الناقد الدكتور سامي شهاب الجبوري

م.د.زمزم محمد حسين
جامعة كركوك كلية :التربية الأساسية
M.D. Zamzam Mohammed Hussein

Research Titl
The Poetry of Abu al-Ala al-Ma'arri
In the Balance of the Critic Dr. Sami Shihab al-Jubouri

zamzammohammed@uokirkuk.edu.iq

الملخص باللغة العربية

يجسد شعر أبي العلاء المعري في ضوء رؤية الناقد سامي شهاب الجبوري مثالاً فريداً على "نصية متمردة" لم تتناسب مع أنماط النقد التقليدي عبر الزمن. لذا فمن خلال منهجه في "نقد النقد"، لم يكتف الجبوري بقراءة نصوص المعري بل تناول كيف تشكل وعي النقاد بشأن هذا الشعر. ففي سياق النقد القديم يرى الجبوري أن شعر المعري تم تقييمه بناءً على "العقيدة والمواضعات الاجتماعية" أكثر مما تم تقييمه من منظور "الجمالية الفنية". فقد أقر النقاد القدماء بعبقريته اللغوية في أعمال مثل "اللزوميات" و"سقط الزند"، إلا أنهم ظلوا قلقين من الأفكار الفلسفية التي عرضها . وقد أشار الجبوري إلى أن المعري كان يهدم الأنماط الشعرية السائدة، مما جعل النقد العربي القديم في حالة من الارتباك بين الإعجاب بمهارته اللغوية والقلق من سوداويته وشكوكه.

أما عند الحديث عن النقد الحديث والمعاصر، فإن الجبوري يرصد تحولاً كبيراً؛ إذ أصبح شعر المعري معياراً لقياس "الحداثة العربية". ويعتقد أن النقاد المحدثين (مثل طه حسين ومن تبعه) أعادوا النظر في شعر المعري بوصفه "فيلسوفاً شاعراً" استطاع استشراف تحديات الإنسان المعاصر. وفي ظل هذه الرؤية عدَّ الجبوري المعري شاعراً حرر الشعر من دوره التقليدي (كالمدح والتكسّب) وجعله وسيلة للتأمل في الوجود. الى جانب ذلك رأى الجبوري أن "التجربة العقلية" هي الأساس في شعر المعري. فلم يكن المعري يكتب ليتوافق مع ذوق عصره، بل لتوثيق صراع العقل مع المادة وصراع الروح مع القيود. كما يؤكد أن "اللزوميات" لم تكن مجرد ترف فني في القافية، بل كانت تعبيراً عن "سجن اختياري" يعكس فلسفة الحتمية والالتزام الأخلاقي الصارم.

وفي الاجمال فإن الناقد سامي شهاب الجبوري يرى أن شعر المعري "نصاً يتجاوز الزمن"، فهو يوضح أن قيمته ليست فقط كوثيقة لغوية، بل كخطاب نقدي مستقل. إذ انتقد المعري من خلال شعره آراء الفلاسفة وأفكار الناس العاديين، وأساليب النحاة. ولذلك فهو ناقد للشعر من خلال الحياة وناقد للحياة من خلال الشعر. وأخيرا يمنح الجبوري المعري مكانته كمؤثر كبير في النقد الأدبي العربي لأنه الشاعر الذي دفع الجميع إلى إعادة التفكير في أدواتهم النقديةوممارسة النقد في ضوء معطيات التجديد الذي لمسوه في شعره .

الكلمات المفتاحية:سقط الزند،اللزوميات،الدرعيات،اتجاهات شعرية،اتجاهات فكرية.

Abstract

According to Dr. Sami Shihab al-Jubouri, the poetryof Abu al-Ala al-Ma'arri represents a unique exampleof a "rebellious textuality" that defied traditionalcritical patterns throughout history. Through his "meta-

criticism" approach, al-Jubouri does not merely read al-Ma'arri's texts but also explores how critics' awareness of this poetry was formed.

In the context of ancient criticism, al-Jubouriobserves that al-Ma'arri's poetry was evaluated based on "doctrine and social conventions" rather than "aesthetic artistry." While ancient critics acknowledged his linguistic genius in works like Al-Luzumiyat and Saqt al-Zand, they remained apprehensive about his philosophical ideas. Al-Jubouri points out that al-Ma'arri was dismantling prevailing poetic norms, leaving ancient criticism in a state of confusion between admiring his linguistic skill and fearing his pessimism and skepticism.

Regarding modern and contemporary criticism, al-Jubouri notes a major shift; al-Ma'arri's poetry became a benchmark for measuring "Arab modernity." Al-Jubouri believes that modern critics (such as Taha Hussein and his successors) reconsidered al-Ma'arri as a "philosopher-poet" who anticipated the challenges of the modern human. For al-Jubouri, al-Ma'arri is a poet who liberated poetry from its traditional roles (such as praise and seeking gain) and turned it into a medium for existential reflection.

Al-Jubouri concludes that the "intellectual experience" is the foundation of al-Ma'arri's poetry. He did not write to conform to the taste of his era, but to document the conflict between mind and matter, and the soul's struggle against constraints. Al-Jubourialso emphasizes that Al-Luzumiyat was not merely artistic luxury in rhyme, but an expression of a "voluntary prison" reflecting the philosophy of determinism and strict moral commitment.

Ultimately, Sami Shihab al-Jubouri considers al-Ma'arri's poetry a "trans-temporal text," clarifying that its value lies not only as a linguistic document but also as an independent critical discourse. Through his poetry, al-Ma'arri criticized the views of philosophers, the ideas of common people, and the methods of grammarians. Thus, he is considered a "critic of poetry through life and a critic of life through poetry." Al-Jubouri grants al-Ma'arri his status as a major influence on Arabic literary criticism, as he is the poet who compelled everyone to rethink their critical tools

المقدمة

يُعدُّ أبو العلاء المعري (ت٤٤٩ هـ) من أبرز أعلام الشعر والفكر في الحضارة العربية، إذ ترك إرثًا شعريًا وفكريًا ضخمًا تميز بالعمق والرؤية الثاقبة، والصدق في التعبير ، وفصاحة اللغة، وقد أدت طبيعة نصوصه المعقدة وتنوعها الفلسفي واللغوي إلى استقطاب عناية النقاد الذين سعوا إلى فهمها واستجلاء أسرارها وتحديد مكانتها في سياق الإبداع الإنساني. وفي إطار هذه المساعي النقدية يبرز اسم الناقد والأكاديمي الدكتور سامي شهاب الجبوري الذي يقدم قراءة متعمقة ومتفردة لشعر المعري، بهدف تحليل بنيته الفنية والفكرية، بالاعتماد على أدوات نقدية حديثة، وبالاستناد إلى مرجعيات معرفية واسعة. وتكتسب دراسات الجبوري أهميتها من خلال تركيزها على الجوانب الجمالية واللغوية، فضلا عن التعمق في الأبعاد الفلسفية والنفسية التي شكلت رؤية المعري للعالم والحياة.

تتميز جهود سامي الجبوري النقدية بقدرتها على الربط بين سيرة المعري الذاتية ونتاجه الشعري، فهو يرى أن النص الشعري هو تجسيد عضوي لتجربة الشاعر القاسية، مُتجاوزًا بذلك التفسيرات التقليدية التي تفصل بين الشاعر ونتاجه الأدبي. كما أولى الجبوري عناية خاصة بالرمزية والأسطورة في شعر المعري، بوصفهما مفتاحين لفهم جوهر التمرد الفكري والفلسفي في هذا الشعر الفذ. وتهدف هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين نص المعري الأصيل والقراءة النقدية المعاصرة للدكتور الجبوري، مع التركيز على استعراض منهجه في التعامل مع هذا الشاعر الفيلسوف، وتحديد القضايا الشعرية والنقدية التي أثارها في تحليلاته. ويهدف البحث إلى تحليل ونقد رؤية الدكتور سامي شهاب الجبوري لشعر أبي العلاء المعري، مع تسليط الضوء على مدى نجاحه في تقديم قراءة تعكس قيمة النص وعمق الرؤية الفكرية، فضلًا عن إبراز مساهمته في إثراء المكتبة النقدية العربية.و ساعتمد في دراستي لكشف اتجاهات أبي العلاء المعري الشعرية ، فضلا عن ما قيل بحق دواوينه سقط الزند والدرعيات واللزوميات على كتابي الناقد الدكتور سامي شهاب الجبوري وهما :

١ – حركة الخطاب النقدي القديم حول شعر أبي العلاء المعري – دراسة في نقد النقد .

٢ – جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر حول شعر أبي العلاء المعري – دراسة في نقد النقد

ففي هذي الكتابين جمع الجبوري الآراء النقدية القديمة والحديثة التي قيلت بحق شعر المعري ، وتمثل جمعه في دراسة أكثر من ستين كتابا ومساءلتها ومساجلة الأفكار التي فيها كلها ، حتى توصل الى نتائج كثيرة غنية ومهمة ، وقد وزع الكتابين بحسب المناهج النقدية السياقية والنصية ، ليتوصل الى جماليات شعره من حيث الجوانب الموضوعية والفنية معا .

التمهيد : سيرة المعري

هو الشيخ العلامة أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد، وينتمي إلى عائلة كبيرة إذ يعود نسبه إلى العديد من الأجداد الكبار مثل داود وزياد وربيعة. ووُلد في عام (٣٦٣ هـ). وقد أصيب بمرض الجدري عندما كان في الرابعة من عمره، مما أثر على وجهه وجعله لا يرتدي سوى الثوب الأحمر الذي ألبسوه له في ذلك الوقت. عاش بعدها لمدة خمسة وأربعين عامًا من دون أن يأكل اللحم، وذلك بسبب فلسفته في الزهد. وكان قنوعًا وعفيفًا، وله وقف مالي يدير أموره بنفسه، ولم يكن يقبل شيئًا من الآخرين. ولو استغل موهبته في المدح لكسب ثروة كبيرة، لكنه اختار البقاء مخلصًا لفنه. ويعد شعره من أفضل الأعمال ويُقارن بشعر المتنبي والبحتري. وقد سمع جزءًا من حديث يحيى بن مسعر وسجله عن أبي عروبة الحراني. ودرس الأدب على يد بني كوثر وأصحاب ابن خالويه وكان ذكيًا للغاية. ومن بين أعماله المشهورة هي "رسالة الغفران" التي تحتوي على أفكار مبتكرة، و"رسالة الملائكة"، و"رسالة الطير"، وديوانه المعروف باسم "سقط الزند". كما كتب ديوان "لزوم ما لا يلزم".. (الذهبي،١٩٨٥، ١٨/٢٣-٢٥) ،وكان مرضه ثلاثة أيام، ومات في اليوم الرابع، ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث: اكتبوا عني، فتناولوا الدوي والأقلام، فأملى عليهم غير الصواب، فقال القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي: أحسن الله عزاءكم في الشيخ فإنه ميت؛ فمات ثاني يوم. ولما توفي رثاه تلميذه أبو الحسن علي بن همام بقوله:

إن كنت لم ترق الدماء زهادة ... فلقد أرقت اليوم من جفني دما

سيرت ذكرك في البلاد كأنه ... مسك فسامعه يضمخ أو فما

وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلة ... ذكراك أخرج فدية من أحرما

وقبره في ساحة من دوار أهله، وعلى الساحة باب صغير قديم، وهو على غاية ما يكون من الإهمال وترك القيام بمصالحه، وأهله لا يحتفلون به."(ابن خلكان، ١٩٩٤، ١/١١٥) ، وقد قيل إن " أبا العلاء كان يصوم الدهر، ولم يفارق الصلاة حتى فارقته الحياة، وكان عفيف اللسان واليد والإزار، لم يستعمل كلمة بذيئة في نظم ولا نثر ولا محاورة، ولم يُعرف أنه أذى أحداً، ولا ضر أحداً، بل كان يعين ذوي الحاجات على قدر طاقته، ولا يجد المتسقط لأخباره" ما يغمزه في عفافه وطهارته ونزاهته وإبائه وأنفته، وكان يعطي على قلة ماله، ولا يأخذ على كثرة حاجته" (رحيم، ١١٨) . كما اشتهر المعري بلقب "رهين المحبسين"، وذلك لفقده البصر وانعزاله في منزله، إلا أن ذلك لم يكبل قواه العقلية وجرأته الفكرية. إن سيرة المعري تتخطى مجرد سرد تاريخ حياة شاعر، فهي تجسد قصة فيلسوف متشكك، ولغوي متمكن، وناقد جريء للمجتمع والوجود. كيف استطاع هذا العبقري أن يحيا في ظل هذه الظروف، وكيف تمكن من تأليف أعمال فذة كـ "رسالة الغفران" و"لزوم ما لا يلزم"؟ وما هي المحطات الفاصلة التي أسهمت في صياغة فكره وزهده؟" إن تعامل الشاعر مع الواقع والحياة ومحاولته لايجادالعالم المثالي الذي يريده ولو تصورا أو خيالا دفع به للتكلم عن الظواهر والحالات الإنسانية والطبيعية التي تسببت في قلق الإنسان تجاه ما يحيطه في هذا العالم،" (خضر وعبدالله ،٢٠١٠: ٢)

المحور الأول : دواوين المعري الشعرية

تمثل دواوين أبي العلاء المعري الشعرية نتاجا أدبياغزيرا، بل هي رؤية فكرية تبحث في تطور فلسفة شاعر عبقري عبر مراحل حياته المختلفة، ابتداءً من البلاغة وانتهاءً بالعمق الوجودي ، وعندما تقرأ اللزوميات ستلاحظ كم يظهر فيها احتقار المعري لما سيقال عنه بعد وفاته. كما ستجد فيها قسوته تجاه الأحياء والأموات على حد سواء. فهل تتساءل إذا كان قد فكر في نفسه أم في الآخرين عندما قال هذا البيت؟ هل شعر في أي لحظة بالشفقة على الموتى لأنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ضد الظلم الذي يتعرضون له؟ ربما شعر برحمة نحوهم لأنه كان إنسانًا طيب القلب. لكن لماذا يقلق أبو العلاء بشأن الأحياء الذين يظلمون الموتى؟ لماذا يخاف عليهم، ولماذا يخاف من الأموات؟ هل كان يحذر ويهدد بعواقب الانتقام والضغوط، أم أنه كان ينبه إلى شعور الحياء ويمتلك شفقة على الظالم حتى لا يواجه المظلوم؟ أو ربما لم

يكن يحذر أو يخاف، بل كان يشير إلى أن الموت قد لا يكون نهاية للإنسان، وأن الروح يمكن أن تنعم بشيء من الخلود والشعور بهذا الخلود.(ينظر:حسين،٢٠١٤ :٢٠). وفي هذا الاطار قال مارون عبود : " ولكني قرأتُ اللزوميات لأرى ما يدعو إليه أبو العلاء، فلم أقع – أولا على شيء، فعدت من قراءتها وقراءة كُل آثاره، كما عاد صاحبنا من العراق راضيًا من الغنيمة بالإياب." (عبود،٢٠١٩ : ١٤) .

لقد أوحت إلينا مقدمة "اللزوميات" أن أبا العلاء المعري كان يخطُّ ملامح كتابٍ فكري أكثر منه ديواناً شعرياً، ولولا ما قد يبدو اجتراراً وتكراراً، لقلتُ إنه أفرد لكل فكرة "زنداً" أو فصلاً مستقلاً. وكما اشتد نقد القدماء لنثره حتى اتهموه بمحاكاة القرآن الكريم في "الفصول والغايات"، ويراودني ظنٌّ — لعلّ إثمه يزول بالتحقيق — في بناء ديوانه الشعري "لزوم ما لا يلزم"؛ إذ وجدته مؤلَّفاً من مائة وثلاثة عشر فصلاً، وهو عددٌ يقارب سور القرآن الكريم (مائة وأربع عشرة سورة)، فهل كان ذلك منه تقصُّداً؟ إن ثقافة المعري الفنية والراوية ليست إلا خلاصة ما عرفه العرب قاطبة، لكن غايته الأسمى كانت تكمن في علم الكلام والجدل ومقارعة أرباب الأديان، وهو مُتسلح بفنون اللغة والنحو والصرف والعروض، وكل ما استُحدث لصون اللسان العربي، وهو ما يتجلى بوضوح لكل مفكر يغوص في أعماق آثاره الكلية.(ينظر:عبود،٢٠١٩ : ٢٢-٢٤) ، إن المعري الذي أبدع في كتابة القصيدة في "سقط الزند"، قد دمر هيكلها في "اللزوميات" على نحو كبير. فالقصيدة أو المقطعة تتشابه في الوزن والقافية والموضوع العام فقط. ومن السهل جدًا في كثير من قصائد اللزوميات أن تفصل الأبيات عن بعضها، إذ يمكن تقديمها أو تأخيرها ،كما يمكن رؤيتها كحكم وأمثال مرتبة ضمن أسلوب متقن؛ لأنها تتكون من حرفين أو أكثر، ومع ذلك فيس هذا الأمر صحيحًا لكل اللزوميات لكنه شائع في الكثير منها ، فهناك قصائد تتميز بوحدة التفكير والمشاعر لكنها نادرة، ولهذا فهي رائعة ، كما توجد قصائد تحقق الوحدة في بعض الأجزاء من دون الأخرى؛ فقد يتناول أبو العلاء أثناء القصيدة وصفًا معينًا أو معنى يفضله ويطيل فيه، فتتحقق الوحدة في هذا المعنى أو الوصف، لكن هذه الوحدة لا تكون موجودة مقارنة بما يسبقها أو يتبعها. كل هذا يعود إلى أن القافية هي العنصر الحاكم الذي يؤلف اللزوميات من كلمات ومعاني وأسلوب.(ينظر: حسين،٢٠١٤ :٨٨) ، ولم تكن دواوين أبي العلاء المعري مجرد مجموعات شعرية تقليدية، بل كانت سجلاً لوجوده ومختبراً للغة. ففي هذه الدواوين رصد الشاعر تحولاته من حماس الشباب وطموحاته في "سقط الزند"، إلى مرحلة من التأمل الفلسفي والزهد الكوني في "اللزوميات". ففي ديوانه الأول، كان يعلّم نفسه فنون الكلام ويظهر مهاراته الفنية من دون قيود "ما لا يلزم". لكن بعد اعتزاله، تبنّى منهجاً تركيبياً مميزاً؛ إذ استعمل الشعر كأداة لاستكشاف اللغة . وقد حملت قصائده أفكاراً كلامية ونقاشات فلسفية جعلتها فصولاً معرفية تتجاوز مجرد التسلية لتصل إلى عمق الحكمة والشك والحيرة.

أولا : سقط الزند

إن ديوان "سقط الزند" هو البداية التي أظهر فيها المعري قدرته اللغوية. وقد تناول الناقد الدكتور سامي شهاب الجبوري هذه المرحلة في نقده، مُشيرًا إليها كفترة المحاكاة والتجاوز. وقد نالت هذه القصائد إشادة النقاد القدماء بسبب براعتها في التشبيهات ودقة الأوصاف، فهي عندهم تمثل انطلاقة لشاعر مميز سلك درب المتنبي بأسلوبه الخاص. وتعد الذاتية في ديوان "سقط الزند" عنصرًا أساسيًا في مفهومها الوجودي الواسع. ومع ذلك فإن القصائد التي تركز على بناء "الأنا" وصياغتها الشعرية تعد قليلة مقارنةً بإجمالي عدد قصائد الديوان. لقد سيطرت هذه المرحلة التي تمثل النصف الأول من حياة المعري على معظم نتاجه في الفخر والاعتزاز بالنفس وإظهار عظمة الذات. بينما انتقل في النصف الثاني من حياته إلى مجالات فكرية وفلسفية أوسع بسبب انشغاله بالتأليف والتصنيف في مجالات متعددة، مما دفعه للتخلي عن شعر "الأنا" التقليدي. وخلال هذا التحول أدت عاهة العمى دورًا رئيسا في دفع المعري لإثبات ذاته من خلال تقليد حياة المبصرين في تنقلاتهم وسفرهم. ونتج عن ذلك شعور قوي بتميز هذه "الأنا" وقدرتها على إدراك المحسوسات ووصفها بدقة وحساسية استثنائية تفوق ما لدى الآخرين. وفي الوقت نفسه ولّد لديه شعور حاد بالغربة ونزعة نقدية تجاه الواقع، مما دفعه للبحث المستمر عن صورة وجودية أفضل تتجاوز آلامه وقيوده البصرية.(عطاالله،٢٠٢٢: ٢٧٥-٢٧٦)

وإذا استعرنا عدسة الناقد سامي الجبوري الفاحصة، نجد أنه يضع يده على مكمن القوة في (سقط الزند) عندما عارض فكرة طه حسين والآخرين إذ قال : " لذلك ننكر على طه حسين والآخرين نحوهم هذا المنحى من حيث ان مقطوعاته الغزلية نظمها المعري نظما فنيا لا دخل للقلب فيها ، بل القلب فيها باعث حقيقي لشرارة الوجد ، لأن النظم لمجرد النظم لا يثير شعور المتلقين ولا يحفزهم وهو خلاف ما تفعله مقطوعاته الغزلية من تأثير مباشر وعميق في النفس . " (جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر،الجبوري:٥٤) ، فالجبوري ينطلق هنا من وعيه التام بصدق مشاعر المعري في هذا الغرض ، وانه نسج ذلك بدراية وحنكة جعلته يتفوق على كثير من شعراء الغزل . ولكي يكون الجبوري أكثر دقة في تقديم رؤاه النقدية قدم مقطعة شعرية من سقط الزندوعلق عليها (سقط الزند،١٦٥) :

يا غرة الحي الكثير شيائهما تأمـرين لمـدتفممـائل
لاقاك في العام الذي ولى فلم يسألك إلا قبلة في قابل
إن البخيل إذا يُمَدِّ له المدى في الجود هان عليه وعد السائل
وسألت: كم بين العقيق إلى الغضى فجزعْتُ من أَمدِ النَّوى المتطاول
وعذرت طيفك في الجفاء لأنه يسري فيُصبح دوننا بمراحل

إذ يقول:" تجد صدق العاطفة وهي مطرزة بالصد والتمنع، فهو عاشق رغاب في الوصال ولكن اهواءه لا تجد من يحتضنها، فهي حبيبة بعيدة المنال ولا رجاء بحصول اللقاء معها . وقد جاء اسلوب المقطعة متوافقا وحالة الوجد والهيام من حيث الهدوء النسبي في عرض ما أراده، وللمتلقي حظ أوفر بتحليل مقطعاته الأخرى للامساك باعمدة الصدق العاطفي فيها. " (جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر ،الجبوري:٥٤)

فقراءة الدكتور سامي لديوان "سقط الزند" تتجاوز مجرد الاستمتاع بالجماليات، إذ تعد وسيلة لفهم التاريخ من خلال النص. فهو لا يرى القصيدة كترتيب كلمات فقط ، بل هي لديه وثيقة تعكس مشاعر صادقة. وعندما يحلل حالة الوجد عند المعري ويربطها بعاطفة متشابكة مع الصد والتمنع، فإنه يقدم لنا مفارقة فنية لا يمكن أن ينشئها إلا شاعر يمتلك الأدوات والخبرات اللازمة. وعليه فإن أعمدة الصدق العاطفي التي ذكرها الجبوري ليست مشاعر عابرة، بل هي بنية فنية تحتاج إلى نضج عقلي وزمني. وهكذا يتحول النقد عند الجبوري من مجرد وصف لحالة الوجد إلى منهج تحقيق يعيد تنظيم سيرة المعري استنادًا إلى نبض قصيدته وليس على ما كتبه الرواة.

ووقف الناقد سامي الجبوري عند الزمخشري(٥٣٨هـ) محللاً قوله: " كما كان للزمخشري صاحب الكشاف رأي ببيت واحد للمعري وهو رأي حمل ملمحا ادبيا من جهة ونعتا متحاملا من حيث التأثير الديني من جهة أخرى، ففي تحليله لبيت المعري الذي قال فيه : (سقط الزند:٨٤)

حمراء ساطعة الدوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف

فهذا النص حمل توقيعا مميزا للتحليل اللغوي لان الزمخشري وقف على معاني المفردات وربطها بنص قرآني محاولة منه لايجاد المشترك بين ما قاله العمري وما جاء به القرآن الكريم، ونتيجة لما وجده من القرابة من حيث الاداء والمعنى فإنه تحامل عليه وبدأ ينعته بنعوت قاسية بدلالة الالفاظ التي استعملها، مما يبرهن على نية المعري المهزوزة لديه، فهو من خلال بيت واحد أصدر حكمه على المعري وبتعنيف وقسوة ؛ فكيف به اذا ما كان قد قرأ اشعار اللزوميات بالكامل وشرحها جملة وتفصيلا بالاتكاء على التحليل اللغوي الذي ابدع فيه ، حتما ستكون النتيجة في الأحكام أفظع مما لمسناه في التعليق على هذا البيت ، إذن هو انطباع جاء بدافع الدفاع عن العقيدة الاسلامية بحسب ظنه لما وجده في البيت من مجاراة للتشبيه القرآني ؛ لذا فهو بتحليله اللغوي هذا خرج بحصيلة نهائية مفادها خروج اداء المعري عن المتعارف عليه من حيث التأثير الديني، وهي تمثل لنا بوصفنا متلقين قدرة المعري اللغوي وامكاناته في توظيف تلك القدرات في شعره ." (حركة الخطاب النقدي القديم والمعاصر ،الجبوري:١٥٠-١٥١)

يتناول نقد النقد في هذا السياق مسألة التأثير المذهبي وكيفية تأثيره في المنهج اللغوي. ويكشف الناقد الجبوري عن وجود تناقض ملحوظ في تعامل الزمخشري مع نصوص المعري؛ فهو يعترف بعبقرية المعري اللغوية ومهارته الفائقة في تقليد الأسلوب القرآني في التشبيهات، لكنه يستغل هذا الإبداع للتعبير عن أفكاره العقائدية وإصدار أحكام قاسية تتجاوز حدود التذوق الأدبي إلى مجالات الهجوم والنزاع. ومن وجهة نظري المتواضعة يكشف تحليل الناقد سامي الجبوري عن خطورة القراءات المتحيزة التي تتجاهل جمال النص وتنوعه اللغوي لصالح آراء مسبقة. وهذا يثير تساؤلات بشأن قيمة النقد الذي يهمل قدرة الشاعر الإبداعية ويحول الجمال إلى صراع فكري. لذا نتفق مع الناقد من أن موقف الزمخشري لم يكن نقداً أدبياً نزيهاً، بل كان دفاعاً انطباعياً صارماً حال دون تقديره لأبعاد "سقط الزند" كعمل لغوي مستقل، وأظهر كذلك قدرة المعري على تحدي المعايير النقدية حتى أمام كبار علماء اللغة. وبناءً على ما سبق نجد أن قراءة الناقد سامي الجبوري لديوان "سقط الزند" نجحت في الكشف عن عمق نص المعري من خلال مستويين متكاملين. في المستوى الأول أظهرت القراءة أن قيمة هذا الديوان لا تكمن فقط في جمال اللغة، بل كذلك في نضج التجربة الإنسانية التي جعلت الصدق العاطفي معياراً لتصحيح الروايات التاريخية حول حياة المعري. أما في المستوى الثاني فقد أظهر الناقد قدرته على كشف الأحكام النقدية القديمة، كما رأينا في موقف الزمخشري، موضحاً كيف يمكن للميل المذهبي أن يحجب جماليات النص ويحول الإبداع الشعري عبر اداته اللغوية إلى ساحة للصراع الفكري. لذلك تظل رؤية الناقد الجبوري تمثل جسراً معرفياً يعيد الاعتبار لشعرية المعري كصرخة وجودية مبكرة تتجاوز الزمن وتتفوق على القراءات الضيقة. ليبقى "سقط الزند" عملاً فنياً خالداً يعكس صراع الإنسان بين طموح الروح وقيود الواقع.

ثانيا : الدرعيات

يُقدم المعري في ديوان "الدرعيات" براعته في وصف الأسلحة وأجواء المعارك على الرغم من انه لم يخض بسبب عماه أية معركة ، واعتمد على التلاعب اللغوي ليقدم ما أراده من صور. لذا يعتقد الناقد سامي الجبوري أن قصائده تجسد "فن التشكيل الصامت" ، إذ تحولت الدروع من وسائل للحرب إلى قطع فنية تُبرز دقة الملاحظة وعمق الإدراك الأدبي قبل الانغماس الكامل في الفلسفة.واختلف الدارسون في بواعث نظم الدرعيات ، فذهبوا في ذلك مذاهبا شتى ؛ فمنهم من يرى إن أبا العلاء وجد في الدرع مجالا لإظهار عبقريته وتفننه وقدرته على التصرف في المعاني والأخيلة (ينظر:الجندي: ٢/٧٦٦) . ومنهم من قال إن أبا العلاء أراد أن يتخذ من "الحوم حول الدرع وسيلة إلى طرق موضوعات تتعلق بتفضيل المجاهد على القاعد ، وبالتالي إلى تفضيل الذي ينظر إلى الدنيا بعين جد على الذي يراها لهوا بالنساء خاصة " . (فروخ : ٤٩.) ، أما طه حسين فيرى أن أبا العلاء حفظ في وصف الدرع الشيء الكثير فأراد أن يُظهر مقدرته الفنية فوضع ديونا خاصا لها (يُنظر : حسين : ١٨٢). والسؤال هنا، هل هذه الأمور التي ذهب إليها الباحثون كافية؟ ، وهل يعقل أن كل هذا الجهد الذي بذله شاعرنا في نظم درعياته هو لاجلاظهار موهبته الثقافية والعلمية كما يقال؟ ، ألا يمكن لنا أن نقول إنه أراد من هذا النظم وهذا الموضوع خاصة (وصف الدرع) " أن يلبي حاجةً في نفسه أو يحقق ذاك الحلم والرغبة الملحة في أن يكون إنساناً طبيعياً يتحرك ويقاتل ويدافع؟ ألا يمكن أن نقول إن عجزه وهو المستطيع بغيره دفعه إلى هذا الأمر" (مهدي، ٢٠٢٠ :١٤٤)

ويعتقد طه حسين أن قصائد الدرعيات تتسم بالغموض، ويعود هذا الغموض إلى شيء في نفس الشاعر. ففي حديثه عن اللزوميات، أشار إلى أن أبا العلاء لم يكن يريد أن يظهر مهارته اللغوية أو براعته في كتابة الشعر. بل اختار هذا الأسلوب ليشجع على توظيف الكلمات الغريبة ، مما جعل المعاني تخفى على الكثير من الناس، لأنه لم يرغب في أن يبرز عليهم. (ينظر:مهدي،٢٠٢٠ :١٤٦)

لقد تضاربت رؤى النقاد وتباينت وجهات نظر الدارسين في ذلك ، ويمكن أن يعود ذلك إلى مدى ما حفظه المعري من أوصاف الدرع، فهو أراد ابراز عبقريته ومهارته الفنية. وخصص ديوانًا مستقلًا للدرعيات، أو ربما كانت وسيلة لإظهار قدراته اللغوية. كما أنها قد تكون وسيلة لمناقشة موضوعات تتعلق بتفضيل المجاهدين على القاعدين، وبذلك تفضيل من ينظر إلى الدنيا بجدية على من يعدها مجرد تسلية بالنساء. وقد يكون هناك ارتباط بينها وبين القوانين الصارمة التي فرضها على نفسه لتفادي الألم والقلق. لكن هذا يحتاج إلى دليل تاريخي يثبت أن الدرعيات كتبت بعد عودته من بغداد في المرحلة الثالثة من حياته، وهو ما لم يتم التحقق منه.(ينظر : شلواي:٢١)

يتضح أن الدرعيات عند أبي العلاء موضوع جديد في الشعر العربي في ذلك الوقت، لكن هذا لا يقلل من عناية الشعراء بها ووصفهم لها منذ العصر الجاهلي. فقد تغنى الشعراء بالدرع ووصفوها وافتخروا بها وبجودتها، ولكن هذا لم يتجاوز البيت أو البيتين وأحيانًا بعض الأبيات حتى لدى الفرسان منهم.(ينظر: الشريف،١٤٣٥هـ:٧-٨)

أما المعري فقد بذل جهدا في تصوير أحوال النفس وشؤون الوجود بين "سقط الزند" و"لزوم مالا يلزم"، وعليه فإن عبقريته في اللغة والفن لم تكتمل من دون التركيز على نمط شعري دقيق ومعقد. وهذا ما ظهر بوضوح في "درعياته"، إذ حوَّل وصف آلات الحرب من مجرد هدف وصفي تقليدي إلى لوحات هندسية تمزج بين الصناعة والخيال، وبين الصلابة والبيان. ومن هذا المنطلق الفني الفريد، تظهر الحاجة إلى تحليل متعمق يكشف عن جوانب الإبداع في هذا الفن، وهو ما سنستعرضه من خلال نصوص الناقد سامي الجبوري التي تناولت الدرعيات بالبحث والتحليل.

لقد حاول الناقد سامي الجبوري في معرض مساءلته لقول عمر فروخ بشأن ما قاله عن الدرعيات أن يبين القيمة الحقيقية التي تتمتع بها أشعار الدرعيات وهذا ما استبان في قوله : " من جانب آخر مكنته مقدرته التحليلية من استنتاج عدد من الوجوه التاريخية الدالة على الزمن الحقيقي لنظم هذه القصيدة أو تلك، ولاسيما قدر تعلق الأمر بدرعياته، فهو يرى ان الدرعيات كتبت في زمن واحد وتحديدا بعد رجوعه من بغداد مستدلا بوجود ذكر لشيبه وتهدم جسمه وورود مجموعة من الاستعارات والتشبيهات من بيئة العراق ... فضلا عن ذلك يؤيد فروخ ان الدرعياتعلى الرغم من ورودها لوصف الدروع كما هو مشاع فانهافي الوقت نفسه وسيلة الى طرق موضوعات تتعلق بتفضيل المجاهد على القاعد . (جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر،الجبوري:٦٧-٦٨).

يعتقد الناقد الدكتور سامي الجبوري أن القيمة الحقيقية للدرعيات تكمن في قدرتها على تجاوز الوصف المادي التقليدي، إذ تتحول إلى مرآة تعكس التغيرات النفسية والمكانية في حياة أبي العلاء المعري. كما استنتج الجبوريأن هذه القصائد تعد وثيقة جغرافية وزمنية تسجل فترة ما بعد الرحلة إلى بغداد. وإن توظيف عناصر البيئة العراقية في هذه النصوص يوضح أن المعري لم يكن يكرر ما هو موجود بالفعل، بل كان

يستوعب تأثير المكان في لغته، مما جعل الدرعيات نقطة تحول تُظهر انفتاح حواسه على أفكار حضارية جديدة. فضلا عن ذلك يشير الجبوري إلى القيمة الوجودية لهذه المقاطع، فهو يبرز الربط بين وصف صلابة المعدن وذكر شيب الشاعر وضعف جسده، مما ينشئ تبايناً فنياً عميقاً بين خلود المادة وفناء الإنسان. هذا التحليل يوسع نطاق فهمنا للدرعيات لتصبح تأملات ذاتية تعبر عن انكسار الذات أمام الزمن. وهكذا يتوافق رأي الناقد مع رؤية عمر فروخ بأن هذه النصوص تمثل تجربة ناضجة وليست مجرد براعة لغوية؛ فقد اختلطت فيها قوة الصنعة بصدق المعاناة، مما جعل من الدرع رمزاً للمناعة والحماية في عالم غير مستقر. وبهذا الرابط بين النص والواقع، يؤكد الناقد الدكتور أن الدرعيات ليس مجرد صدى للماضي، بل هو سجل شعوري يعكس تأثير الارتحال على مشاعر الشاعر، معتبراً أن الإبداع الحقيقي هو الذي يجمع بين دقة الوصف وعمق التجربة الإنسانية.

وفي معرض حديث الناقد سامي الجبوري عن رؤية يسري سلامة بشأن الدرعيات نراه يقول بحقه : "وعلى وفق ما ورد تتحمل القصيدة أو المقطوعة من الدرعيات تحليلين : الأول وصف الدروع كأنها المقصد الاول والاخير، والثاني الحث على الجهاد والثورة على الواقع الفاسد الأليم والتحلي بالقوة ونبذ الضعف، وقد مثلت تحليلات الناقد سلامة هنا مرحلة تأويلية تقع في الطرف الثاني من اطراف التحليل، وهي قد وضعت النقاط على الحروف، أي الاعلاء من شأن أشعار الدرعيات قياسا باشعار السقط واللزوميات؛ كونها أشعارا ظلت مغمورة في العالم النقدي ولا حديث عنها إلا في النزر القليل الذي عدها مشروعا لوصف الدروع، ومن تحليلات الناقد التأويلية ما قاله في مقطوعة درعية"(جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر،الجبوري:١١٠)

قال فيها المعري: (سقط الزند:٢٩٩)

ألاقي الدارعين بغير درع	وأدعـو بالمدجَّج لا تفتني
كأن جيادَهُمْ أسراب وَحْشاً	صرعهن من رُبـد وأتـن
وما أعجِلْتُ عن زَرَدٍ حَذاراً	ولكن المفاضة أُثْقَلَتْني
اكلَّت منكبي سمر العوالي	وحمل السابريّ أكلَّمتني

يكشف الناقد الدكتور عن عمق تأويلي يتجاوز القراءة السطحية التي حصرت الدرعيات في مجرد وصف جامد. فهو يرى أن هذه النصوص تحمل معاني الثورة والتحفيز، فهو يقسم القصيدة على هدفين: أحدهما يتعلق بالوصف المادي والآخر يركز على الحث المعنوي. وهذا يثبت أن المعري استعمل صلابة الدرع لتكون رمزاً لصمود الذات وثورتها على الواقع الفاسد والمؤلم. ومن وجهة نظري المتواضعة فإن تأييد الناقد الجبوري لرؤية يسري سلامة التأويلية يمثل انتصاراً للنص الذي كان مغيباً؛ إذ أخرج هذه الأشعار من ظلام الإهمال إلى نور العناية النقدية، موضحاً أهميتها مقارنة بأشعار السقط واللزوميات الشهيرة. هذا التحليل يمنحنا وسيلة لفهم فلسفة القوة لدى المعري؛ فالدرع هنا لم يعد مجرد آلة حرب، بل أصبح استعارة كبيرة لرفض الضعف والتحصن بالقيم والقوة. وهذا يدل على أن الناقد لم يكتفِ بشرح الكلمات فقط، بل تعمق في طبقات التأويل ليعيد ترتيب الأهمية الفنية لأشعار المعري. ويؤكد هذا الرأي أن ما كان يُعتقد أنه مجرد مشروع لوصف الدروع هو في الحقيقة صرخة تمرد ودعوة للثبات، مما يظهر أن قراءة الدرعيات في ضوء نقد النقد تمثل مرحلة تأويلية ناضجة تتفوق بمعانيها على القراءات التقليدية التي أحاطت بإبداع أبي العلاء لقرون عدة.

واستنادًا إلى ما ذُكر نُختتم حديثنا عن الدرعيات بالإشارة إلى أن تحليل الناقد الدكتور سامي أدى إلى تحوُّل كبير في فهم المعري لهذا النوع من الشعر. فقد انتقل من مجرد وصف مادي ساكن إلى إطار يفسر الفلسفة والثورة. فلم تعد الدرعيات مجرد قطع حديدية يصفها شاعر كفيف، بل أصبحت رمزًا للقوة النفسية وأداة لمواجهة واقع فاسد. ومن خلال ربطه الفعّال بين نضج الأسلوب والتحولات التاريخية والبيئية، أثبت الناقد السامي أن الدرعيات تمثل المرحلة التي اكتمل فيها إبداع المعري الفني، إذ تجلت قوة اللغة مع عمق التجربة الوجودية. ومن ثمة لم تعد هذه الأشعار غير معروفة كما كانت سابقًا، بل أصبحت بفضل هذا التحليلأساسًا لفهم عبقرية أبي العلاء التي جعلت من الدرع وسيلة تحمي الروح أمام تقلبات الزمن وصعوباته.

ثالثا : اللزوميات

تمثل "اللزوميات" العمل الأساسي الذي يعكس انتقال المعري من شاعر موهوب إلى فيلسوف وجودي. لم تكن هذه النصوص مجرد تقييدات لغوية، بل تمثل سجنًا اختياريًا للأفكار. لذا حظي هذا الديوان بعناية الناقد سامي الجبوري وقام بتحليله بصورة معمقة ، فهو يرى أنه اللزوميات بمثابة مصدر مهم للنقاش بين النقاد المعاصرين الذين تباينت آراؤهم في تفسيره بين العدمية والزهد الأخلاقي و" كتاب يعرف به لزوم ما لا

يلزم". وهو في المنظوم، بني على حروف المعجم، و يذكر فيه كل حرف سوى الألف بوجوهه الأربعة ، وهو الضم والفتح والكسر والوقف منظوما . ومعنى لزوم ما لا يلزم أن القافية يردد فيها حرف لو غير لم يكن ذلك مخلا بالنظم ، لكنه التزمه في كل بيت " (حسين وآخرون،١٩٦٥: ٥٣٦)، وقد ذكر مارون عبود " قرأت في هذه الأشهر كل ما أملاه الإمام وأخرجته المطابع، وتتبعت آثاره في هوي «لزومياته»، وتَسلَّقتُ قِمَم «رسائله» متلمسا النور من سقط زَندِه» و «ضوء سقطه» لَعَلّي أدرك بعض «غاياته»، وأشهد تمثيل فصوله»، فكنتُ كمن يستنير بالحباحب. رأيتني في هيماء تكذب فيها العين والأذن. "(عبود،٢٠١٩ : ١٢)

إن ديوان "لزوم مالا يلزم" الذي كتبه المعري بعد فترة عزلته هو وثيقة مهمة تعكس بدقة أفكاره ومواقفه تجاه الحياة والكون. كما أنه يمثل بوضوح معالم أسلوبه الفني الذي استقر عليه بعد العزلة، إذ تمكن من دمج الفكر مع الإحساس، والعاطفة مع الصورة والأداء اللفظي بطريقة جعلت قصائده انموذجًا فنيًا رائعًا. وبالنسبة للمعري فإنالشعر هو وسيلة التفكير العميق، ومكان يجمع المشاعر الصادقة، وتعبير واضح عن الحقائق. ومن خلال ذلك يقدم رؤية جديدة تعتمد على العقلانية والتحليل المنطقي. وديوان "لزوم ما لا يلزم" هو مصدر غني للعديد من المعارف، ويتجاوز بذلك حدود الشعر ودواوينه. ويعد مرجعًا مهمًا للغة العربية، إذ يحتوي على كنوز من الأفكار النادرة. وقد أراد المعري أن يبرز بين العلماء في عصره من خلال هذا العمل. وتتميز لزوميات المعري بالكثير من المعاني الجديدة والرؤية الإنسانية العميقة. وقد استند إلى ثقافته ومعرفته الواسعة، وسحب من مشاعره وأفكاره ليقدم شعرًا مبتكرًا بكل معنى الكلمة. وتفاعلت أفكاره مع شخصيته، مما أدى إلى ظهور إبداع جديد . كما عَبَّرَ في ديوانه عن مشاعره في مختلف الظروف والأحوال، ورسم أفكاره بشأن قضايا الحياة المتنوعة، لذا أصبح شعره يعكس بوضوح توجهاته الفكرية والنفسية. الى جانب توسيع مجال الشعر ليشمل أفكاراً وملاحظات أوسع عن الأديان والعادات والثقافات المختلفة من حوله. واعتمد في ذلك على معرفته الواسعة بالعلوم التي كانت سائدة في عصره وما اكتسبه من تراث قديم وحديث.(ينظر :البلوي،٢٠٢٣ : ٣)

وفي اطار هذه الأهمية لمسنا الكثير من الآراء النقدية التي وجهها الناقد سامي الجبوري لمن كتب عن المعري ، ولاسيما أولئك الذين لا يفقهون معانيه الشعرية ، وجل ما قالوه هو تسرع في اصدار الأحكام ، لذا نقف عند ما قاله الجبوريبحق رؤية ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) وهذا واضح في قوله : "ويرى الحموي أن لزوم ما لا يلزم كتاب فيه أشياء تدل على سوء عقيدة صاحبها : " ومن شعره الدال على سوء عقيدته من لزوم ما لا يلزم (اللزوميات:٢/٣٤٥)

الا فانعموا واحذروا في الحياة	مُلِماً يُسمى مزيل النعم
أتوكم باقبالهم والحسام	فشد به زاعم ما زعم
تلوا باطلاً وجلوا صارماً	وقالوا صدقنا فقلتم نعم ؟
زخارف ما ثبتت في العقو	ل عمّى عليكم بهن المعم

ولمسنا من خلال ترجمته وقوعه في هوة الخطأ عن طريق عدم فهمه لمعنى بيتين للمعري؛ فمرة وضعهما ضمن زهده، ومرة أخرى وضعهما ضمن إلحاده، وهذه دلالة لا تحتاج الى تعليق على ان نظرته لا تتم عن العمق المفهومي الادراكي لخفايا المعاني الشعرية لدى المعري؛ فالشعر ولاسيما شعر المعري الملغز والمرمز يتطلب متلقيا واعيا متحصنا بقلاع الدراية ، لكي يتمكن من التقاط المكنونات الجوهرية التي تؤطره، وبعد ذلك تأتي مرحلة اصدار الأحكام، وهو ما لم نجده عند الحموي وآخرين بعده لهذا وقع أسير الاضطراب والتخبط " (حركة الخطاب النقدي القديم،الجبوري:٦٣-٦٤)

يكشف هذا النص عن مراجعة نقدية جريئة يقدمها الناقد الجبوري لموقف ياقوت الحموي من لزوميات المعري. فهو يشير إلى وجود ثغرة منهجية وفكرية في نقد الحموي، وهي عدم قدرته على فهم جوهر النص الشعري والاكتفاء بالمظاهر التي تدعم أحكامه المسبقة. وعندما يتهم الحموي المعري بسوء العقيدة بناءً على أبيات اللزوميات، فإنه يقع في فخ السطحية ولا يفهم الرموز والألغاز الموجودة في لغة أبي العلاء. ومن وجهة نظري المتواضعة أرى أن تحليل الجبوري مهم لأنه يكشف عن التناقض والارتباك الذي واجهه الحموي؛ كيف يمكن وصف الأبيات نفسها بالزهد وبالإلحاد في الوقت نفسه. هذا الارتباك الذي لاحظه الناقد الجبوري يُظهر أن الحموي لم يكن يمتلك الأدوات اللازمة لفهم أفكار المعري، بل كان يتبع النظرة التقليدية التي تقيم الإبداع بمعايير الاتباع والابتداع. كما يؤكد الناقد الجبوري على أهمية وجود متلقٍ واعٍ ومتعلم يستطيع فهم المعاني العميقة خلف اللغة المشفرة. إن نقد الجبوري هنا ليس مجرد دفاع عن المعري، بل هو دعوة لتحرير النقد الأدبي من قيود التفسير الأحادي وإثبات أن الارتباك في إصدار الأحكام ينجم عن ضعف الفهم وقلة الرؤية أمام عبقرية لغوية فذة مثل عبقرية المعري.

كما وقف الجبوري لمعالجة قول القطفي(ت٦٤٦هـ) في موضع آخر قائلاً :" ولكن القفطي لم يقدم شيئا ضد المعري بهذا الخصوص وترك المجال لما أورده غرس النعمة من آراء واشعار دالة على الحادة من وجهة نظره من دون شرحها وتحليلها ، أو تأييد ما فيها من اضطرابات وارهاصات مثلما هى الحال عندما دافع عن المعرى وتعاطف معه ، أي انه وقف جانبا وقدم ما جاء به غرس النعمة... ومما قال فى اتجاه الالحاد بحسب غرس النعمة أشعار كثيرة نذكر منها" (حركة الخطاب النقدي،الجبوري:٩٩) قول المعرى (اللزوميات:١/٣٥٢)

أمور تستخف بها حلوم وما يدري الفتى لمن الثبور

كتاب محمد وكتاب موسى وإنجيل ابن مريم والزبور

يكشف الجبوري هنا عن نقطة نقدية مهمة تتمثل في تمرير التهم العقدية تحت غطاء النقل المباشر. فصمت القفطيوتركه المجال لآراء غرس النعمة من دون تدخل منه، يُعد قبولاً ضمنياً بتلك الأحكام الصارمة. ويوضح هذا التحليل كيف يساعد الناقد على تشكيل صورة مشوهة عن الشاعر عندما يتخلى عن مهمته التحليلية ويكتفي بدور ناقل المعلومات. وهذا يجعل الأبيات التي تذكر الكتب السماوية تبدو وكأنها تعبر عن اضطراب شعوري، بينما هي في الواقع لغة رمزية تحمل معانٍ فلسفية كثيرة غابت عن من اكتفى بالسرد. إن انتقاد سامي الجبوري لموقف القفطي يبين أن نقد اللزوميات تعرض لظلم مزدوج؛ مرة من المنافسين الذين لم يفهموا هدف المعري، ومرة من الذين اتخذوا موقفاً سلبياً ولم يدافعوا عنه في الأوقات الحرجة. ومن ثمة فإن الأبيات التي ذكرها القفطي لا تمثل خروجاً عن العقيدة بقدر ما تعكس قلقاً وجودياً وتساؤلاً معرفياً يرفض السطحية. وهذا يدعو المتلقي المعاصر إلى قراءة اللزوميات بنظرة الناقد الفاحص الذي لا يقتصر على نقل الأقوال، بل يستكشف المعاني العميقة التي عجز النقاد القدماء عن فهمها بسبب خوفهم من التراث أو ميلهم لتأييد الآراء الشائعة.

وبالانتقال الى معالجة الناقد سامي الجبوري لآراء نقاد النقد الحديث ، نجده قد تعاطف برأيه مع ما جادت به قريحة الناقد هادي العلوي بشأن اللزوميات ، وهذا ما استبان جليا في قوله : " ولا غرو إذا ما قلنا إن دراسة الناقد هادي العلوي الموسومة بـ (أبو العلاء المعري المنتخب من اللزوميات (١٩٩٠) واحدة من الدراسات الممنهجة اجتماعيا التي عمقت الرؤية الفاحصة لدى المتلقي لاستجلاء المخبوءات بطرائق جديدة، أهمها طريقة ربط الواقع الآني بتصوراته الحداثية بالواقع القابع في جوف الماضي القديم، وبحسب المتناقضات واشتراطات التضاد فالاشتراك يكون موجودا كذلك لان الانسان نفسه ونواميس الكون والطبيعة هي نفسها كذلك، ولكي يكون المتلقي قريبا من المحتوى المتضمن في الدراسة يجد اتسام أسلوب خطاب الناقد بفحوى المثاقفة والفكر الخصب في تناول موضوعه؛ إذ حاول بشمولية كاملة جعل اللزوميات وثيقة تاريخية اجتماعية حاملة للاحداث والأفكار معا..." (جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر،الجبوري:١٢٧)

يكشف الناقد الجبوري عن نضج الطريقة التي اتبعها هادي العلوي في نقده ورؤيته للزوليات ، إذ حول اللزوميات من نص أدبي عادي إلى وثيقة تاريخية واجتماعية حيوية. ويشير الجبوري إلى أن عبقرية العلوي تكمن في قدرته على بناء جسر بين الحاضر والماضي، معتمداً على القوانين الكونية والطبيعة البشرية التي تبقى ثابتة على مر الزمن. ومن وجهة نظري المتواضعة يبرز هذا التحليل أهمية التبادل الفكري في النقد، إذ لم يعد الناقد مجرد مفسر للأبيات بل أصبح مفكراً يستخرج المعاني الخفية في نص المعري لمعالجة قضايا العصر الحالي. وإن إشادة الجبوري بأسلوب العلوي تتجاوز الإعجاب بالشكل إلى تقدير العمق الفكري؛ لأنه يرى أن دمج اللزوميات مع الأحداث والأفكار يعطي المتبقي رؤية شاملة تجعل شعر أبي العلاء مادة حية تستطيع تفسير التناقضات الاجتماعية. كما يؤكد الجبوري أن دراسة العلوي لم تكن فقط اختياراً لقصائد معينة، بل كانت إعادة تشكيل للوعي ، مما يثبت أن نص المعري يمتلك طاقة مذهلة تتألق كلما اقتربت من أساليب النقد الحديثة التي تربط الفن بالواقع الإنساني.

واستنادًا إلى ما ذُكر يتضح أن قراءة الناقد الجبوري للآراء المتصلة باللزوميات قد نجحت في كشف الفجوة المعرفية بين عبقرية المعري وأدوات ناقديه المحدودة. فنرى كيف وقع الحموي في تناقض بين مدح الزهد واتهام الإلحاد، بينما اختار القفطي الحياد السلبي بدعوى النقل المجرد. ومن هنا نجد حقيقة مذهلة؛ وهي أن اللزوميات لم تكن مجرد ديوان شعري، بل كانت اختبارًا صعبًا لقدرة النقاد على فهم النصوص المرمّزة. لقد أثبت الناقد الجبوري أن تلك الأحكام القاسية نتجت عن عدم فهم عميق لمعاني النصوص، مما جعل المعري ضحية لتلقي سطحي وميل مذهبي. وعليه يمكننا القول إن اللزوميات تظل بالنسبة للناقد الجبوري وثيقة فلسفية عميقة لا يمكن فك رموزها إلا من متلق واعٍ يتمتع بالفهم ويتحرر من الأحكام السطحية. لذا ستبقى صرخة أبي العلاء في لزومياته دليلًا على أن الإبداع الحقيقي هو الذي يستمر في إثارة الجدل ويصعب تصنيفه عبر العصور.

المحور الثاني : اتجاهاته الشعرية والاسلوبية

يعتمد الاتجاه الفكري عند المعري على أهمية العقل المطلق، وهو توجه عقلاني متطرف يجعل الشك وسيلة للتفكير والتحقق، ويستعمل المنطق كمعيار لتقييم التراث. ويظهر فكره في نظرة تشاؤمية وجودية تعتقد أن الحياة عبء والموت هو الخلاص. كما انه يستند إلى فلسفة تفضل الابتعاد عن الحياة، كما يتضح ذلك من اعتذاره المعروف عن وجوده. أما من الناحية الأسلوبية، فإن المعري يعبر عن هذا الحصار الفكري من خلال تقانة لزوم ما لا يلزم، وهي طريقة أسلوبية معقدة يقيد فيها القصيدة بقواعد لغوية وصوتية صارمة، إذ يلتزم بحرفين قبل الروي. وهذا يعكس رغبته في إظهار سيطرته العقلية على اللغة وفي عزلته عن القيود. وفي رأي الناقد سامي شهاب الجبوري يعد هذا التداخل بين الفكر والأسلوب جدلية بين القيد والحرية؛ بينما يحرر المعري عقله من التقليد، فإنه يقيد نصه بالقيود اللفظية ليخلق شعراً نخبوياً يتحول فيه اللفظ من مجرد وسيلة تعبير إلى مختبر فلسفي يبحث في أزمات الإنسان الأبدية. وهذا يجعل تجربته الشعرية نقطة تحول مهمة من شعر الذات والمناسبات إلى شعر الفكرة والوجود الشامل.ولعل قدرته على اختيار الكلمات والتعبيرات بدقة ومهارة، وطريقته في فهم المعاني القريبة، وقدرته على تقليد الشعراء القدماء، جعلت البعض يعده شبيهاً بالمتنبي وأبي تمام. وكما كان المتنبي هو القضية البارزة في القرن الرابع، كان أبو العلاء كذلك قضية مهمة في القرن الخامس. لكن قضية أبو العلاء في النقد العربي لم تكن تتعلق بالأصالة الشعرية واختلاف آراء النقاد بشأنها كما كانت الحال مع المتنبي. بل كانت قضية جديدة بدأت ملامحها تظهر مبكراً عند أبي تمام وزادت وضوحاً مع المتنبي، ثم أصبحت بارزة بقوة عند أبي العلاء.(ينظر: خليف:١٦١)

ولم يكن المعري يحاول تقليد الآخرين بتبديل الكلمات أو إضافة تعبيرات جديدة ليدعي أنها له. بل كانت ذاكرته قوية وتمنحه ثروة من المعرفة القديمة والحديثة. إذا تشابهت أفكاره مع شاعر آخر، فهذا يعني أن كليهما يتشاركان في نمط التفكير ورؤية الأشياء. وإذا تداخلت صور الشاعر مع صور أخرى لشاعر مختلف، فهذا لا يعني سرقة بل تأثير وإعجاب غير مقصود بأسلوب الآخر. ومن هنا يجب أن نؤكد أن هناك اتجاهًا عامًا أثر في صور أبي العلاء، ونشأ من البيئة المحيطة به وما سمعه عن كل ما فيها. كما كان هناك اتجاه خاص يؤثر في بعض صوره بسبب تأثره بشعراء معينين. ففي إحدى قصائده التي تتعلق بالفخر، وهو موضوع نادر في ديوانه، نستشعر أصداء المتنبي بكل ما تحمله من غرور وتعالي وإحساس قوي بالذات.(ينظر:خليف :١٧٢)

لقد ظل مفهوم الجمال عنده غير واضح وغير محدد، وهذا يعود إلى فلسفته التي تسعى إلى إضفاء الغموض على موضوعاتها. ويبدو من الصور المختلفة التي عرضناها عن أبي العلاء أنه شاعر يتأثر ويؤثر في الوقت نفسه، وله شخصية فريدة تتبع أسلوبًا مستقلًا وطريقًا خاصًا في التعبير، مما يميز أعماله ويمنحها صفات الابتكار والإبداع. وكان أبو العلاء أبرز شاعر في القرن الخامس، وترك وراءه مكتبة أدبية ونقدية أثرت في المفكرين والنقاد. فهو الشاعر والفيلسوف الذي وضع قيودًا معينة على الشعر، والتزم بها. كما أنه امتلك قدرة لغوية كبيرة ومهارة تعبيرية عالية، وقد أطلق الصورة الشعرية نحو اتجاه جديد لم يعرفه السابقون. وكان بإمكان هذه الصورة أن تتطور أكثر لو وجدت من يعتني بها وينميها، ولقد وقف ثمانون شاعرًا عند قبره ليعبروا عن حزنهم وتقديرهم له أثناء رقدته الأبدية.(ينظر:ابلخيرة،:١٣) ،واستنادًا إلى ما تم ذكره، يتضح أن أبا العلاء المعري لم يكن شاعرًا عاديًا بل كان ظاهرة إبداعية فريدة أعادت تعريف الشعر العربي من خلال دمج الرؤية بالتعبير. ويكمن تميز المعري في قدرته الكبيرة على جعل القصيدة وسيلة تربط بين عمق التراث وأفكار العالم. وهذا يدفعنا لاستكشاف تجربته عبر الاتجاهاتالآتية :

أولا : الاتجاه الفلسفي

إن الفلسفة عند المعري هي أساس رؤيته للعالم، وليست مجرد ترف فكري. ومن هذا المنطلق درس الناقد سامي الجبوري هذا الاتجاه من خلال تحليل "حركة الخطاب" التي انتقلت من الوصف الخارجي إلى عرض أسئلة عن الوجود مثل الموت والزمن والمصير البشري، مما جعل القصيدة مكاناً لتجربة الأفكار.يقول أ.م بوشنسكي : " فانه ليس أكثر بطلانا وفسادا من إنكار أهمية الفلسفة في الحياة، صحيح ان الفيلسوف لا يحتل دائما مكانة مشهودة في الحياة اليومية وقدره في الأغلب ان لا يفهمه القوم إلا بعد موته، وان كان التاريخ قد عرف فلاسفة ذاقوا طعم المجد في حياتهم من مثل أفلاطون وتوما الأكويني وهيجل وبرجسون ، ولكن حتى في مثل هذه الحالات فان الأمر كان أمر موافقتهم لذوق العصر، ولم يكن أمر تفهم شامل من جانب العصر لفلسفاتهم " (اقرني،١٩٩٢: ١٦)، وإذا كان الفيلسوف لا يُفهم إلا بعد موته، فإن ذلك يفسر لنا لماذا ذهب بعضهم إلى قول:" ان الفلسفة هي مجموعة من التأملات المجردة التي لا أهمية لها في الحياة، وانه ينبغي بالأحرى التوفر على دراسة العلوم التطبيقية لأنها هي التي تحدد طرائق عمل كل أوجه النشاط (من عمل المهندس إلى عمل المربي) من مثل علم

الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم السياسة، والأساس الذي يقف وراء ذلك هو انه فلنعش أولا ولنتفلسف بعد ذلك (كما يقول المثل اللاتيني والتفلسف لا يغني من فقر ولا يسمن من جوع) "(اقرني،١٩٩٢: ١٥) ، ويواجهنا التفكير البشري بمشكلة كبيرة في تقدير قيمة الفلسفة. ففي حين يعد بعض الناس أن إنكار الفلسفة هو أمر خاطئ وغير صحيح، إذ يشيرون إلى أن الفيلسوف قد لا يجد مكانه في الحياة اليومية لأنه غالباً ما يفهم بعد وفاته، وأن الشهرة التي حصل عليها بعض الفلاسفة كانت بسبب توافق أفكارهم مع ذوق العصر وليس لفهم فلسفاتهم، ويظهر كذلكرأي آخر يرى أن الفلسفة هي مجرد تأملات نظرية لا تفيد في حل المشاكل الحياتية.

وانطلاقاً من ذلك فان رؤية الناقد سامي الجبوري تجاه ما قاله نيكلسون صائبة وفي محلها إذ قال بحق آرائه : " وعلى الرغم من اعتراف نيكلسون بأحقية المعري الفلسفية فانه لا يرى في فلسفته أي تنظيم انما هي مجرد أفكار نشرها من دون ضابط يحكمها؛ وقد أشار الى أن مؤلفاته جميعها لاتضم ذلك النظام" (جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر،الجبوري،٢٠١٣:٤٣٢)

إن رؤية نيكلسون تتيح للمعري فرصة فلسفية بينما تفتقر في الوقت نفسه إلى التنظيم والضبط، مما يكشف عن جوهر توجهه الفلسفي ويبرز صعوبة محاولات تصنيف عبقريته ضمن نماذج محددة. فالمعري ليس أكاديميًا ليلتزم بمذاهب مغلقة، بل هو مفكر يعبّر عن أفكاره من خلال تأملات تعكس الحيرة الإنسانية أمام تناقضات الحياة. وما يبدو لنيكلسون كافتقار للنظام هو في الحقيقة تعبير عن صدق التجربة الفلسفية التي ترفض حصر الحقيقة في إطار منطقي واحد، وبدلاً من ذلك تفضل تسجيل حركة الوعي القلقة تجاه الموت والزمن والمصير. وهنا يتضح دور الدكتور سامي شهاب الجبوري في نقد هذه الآراء؛ فهو لا يقيم المعري بناءً على مدى التزامه بالقواعد التقليدية، بل وفقًا لقدرته على تحريك الأفكار السائدة. ويتجاوز نقد الجبوري الملاحظات السطحية التي قدمها نيكلسون ليظهر أن تشتت أفكار المعري هو استراتيجية واعية ترفض القيود، مما يتماشى مع فكرة أن الفيلسوف قد يكون صعب الفهم منعصره أو من الذين يفضلون النظام على حساب الجوهر. وهذا يؤكد أن قيمة المعري ليست في تنظيم أفكاره، ولكن في عمق الأسئلة التي عرضها وتركها بلا إجابات نهائية، متحديًا الميل نحو النفعية التي تسعى للحصول على نتائج جاهزة، ومما يبرز عبر منهج الجبوري أن الفلسفة الحقيقية هي التي تحرر العقل من قيود الأنظمة الجامدة وتفتح أفق التساؤل المستمر.

وفي إطار فلسفي آخر وقف الناقد سامي الجبوري عند خطاب هنري برلاين قائلاً: " هذا القول فيه كثير من التعميم اذا ما كان القصد حتميا بان الشاعر العظيم يجب ان يكون فيلسوفا عظيما كذلك؛ فهناك شعراء كبار أمثال امرىءالقيس وحسان بن ثابت وجرير والفرزدق وآخرين لم تكن لهم رؤى فلسفية واضحة المعالم مثلما هو الحال عند المعري؛ لذا لا يمكن ان يكونوا فلاسفة عظماء . علما انهم من عباقرة الشعر وأهم أعلامه ، ومن جهة أخرى زاد برلاين من شاعرية المعري لما وجده من توظيفات أدائية في اللزوميات عملت على إسباغ صبغة الإبداع عليها، وحيث لا يمكن ان يكون هناك نظير لها على الاطلاق" (جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر،الجبوري٢٠١٣: ٤٣٥)

إن الفصل بين العبقرية الشعرية والعبقرية الفلسفية، كما أشار النص، يظهر وعياً نقدياً يرفض دمج الجمالية الخالصة (كما في أعمال امرئ القيس وجرير) مع الجمالية الوجودية (كما عند المعري). ولا تكون الفلسفة شرطاً لجودة الشعر، بل هي عنصر يضيف قيمة تجعل النص يتجاوز كونه مجرد محاكاة للواقع أو استعراض للبلاغة؛ إذ تتحول النصوص إلى وسائل لفهم الوجود. وعندما يُقال إن المعري كانت لديه رؤى واضحة، فإنه يُنقل من كونه شاعراً يصف العالم إلى فيلسوف يعيد تشكيله في ذهنه. هذا التمييز هو جوهر الاتجاه الفلسفي الذي يعيد تعريف الشاعر ككائن مفكر وليس مجرد متحدث ماهر. كما يتوافق نقد الدكتورسامي شهاب الجبوري مع رؤية برلاين؛ فإشادة الأخير بتوظيفات المعري الأدائية في اللزوميات ليست مجرد إعجاب بالصنعة، بل تُظهر كيف استطاع المعري استعمال التعقيد اللغوي كوسيلة لتعزيز تفكيره الفلسفي الفريد. وتوضح طريقة الجبوري في تحليل هذه الآراء أن عبقرية المعري تتمثل في تقديمه فلسفة ليست مجردة، بل ملموسة من خلال الأداء، إذ تصبح القافية الصعبة والوزن المرهق تعبيراً عن صعوبة التفكير ومعاناة الوجود.ي كما يظهر التحليل أن تميز المعري عن شعراء جيله يعود إلى أنه جعل الفلسفة جزءًا أساسيًا من شعره، مما جعله يستحق لقب المبدع الفريد. ويؤكد هذا النص أن المعري استطاع تجاوز التحديات التي واجهها الآخرون؛ فبينما قدم كبار شعراء العرب "شعرية المعنى"، أتى المعري بـ "شعرية الفلسفة". ولهذا السبب يرى الدكتور الجبوري أن أعماله مادة غنية للنقد الذي لا يركز فقط على الكلمات، بل يتعمق في فلسفة الوعي التي جعلت المعري شخصية فريدة في تاريخ الأدب .

وقال الناقد سامي الجبوري بحق الناقد ابراهيم فاضل : " ويعد الخطاب النقدي للناقد إبراهيم فاضل خطابا مركزا في التوصيف الفلسفي، وفيه حدد الملامح الفلسفية التي تمتع بها الفلاسفة الغربيون قياسا بالملامح التي تمتع بها كل من المتنبي والمعري، فالدراسة في مجملها محاورة فلسفية بين فلاسفة الغرب والفيلسوفين العربيين الشاعرين المتنبي والمعري، وعادة لا تكون هناك مناظرة أو محاورة إلا إذا كان المتناظرون

يدركون القضية نفسها بل يتقنونها، لذا فيما ان المعالجات في دراسته كانت فلسفية فلابد ان يكون المنظار لدى الفيلسوفين الشاعرين العربيين فلسفيا كذلك، وهناك إشارة بأنهما فيلسوفان وشاعران في الوقت نفسه"(جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر ،الجبوري،٢٠١٣: ٤٥٧) .

يمثل خطاب إبراهيم فاضل تحولًا جوهريًا في مسار نقد النقد، إذ ينقل المتنبي والمعري من نطاق الوصف الأدبي الضيق إلى ساحة الحوار الفلسفي الواسعة. ويعتمد هذا الخطاب على فرضية أن الشاعرين يمتلكان رؤى فلسفية تعادل ما أنتجه الفلاسفة الغربيون. ويُظهر هذا الرأي فلسفة تفيد بأن القصيدة العظيمة هي تركيبة فكرية متكاملة، وليست مجرد عرض بلاغي، إذ ترتكز المحاورات بين المفكرين الغربيين وهذين الشاعرين على فهم القضايا الوجودية الكبرى وإتقان معالجتها. ومن هنا يكون الشاعر فيلسوفًا حقيقة وليس مجرد لقب . ومع ذلك يكشف نقد هذا الخطاب من منظور منهج الجبوري عن محاولة لإعادة الاعتبار للعقل العربي عبر مقارنته بالمركزية الغربية. وعلى الرغم من أنه يرفع مكانة المعري والمتنبي، إلا أنه قد يقع في فخ تقييم الشعر العربي بمعايير الفلسفة الغربية التي تسعى إلى الانضباط والمصطلحات الدقيقة، بينما تتجلى فلسفة المعري والمتنبي في مرونة المجاز وحرية التفكير. وتكمن قوة رؤيةالجبوري النقدية في كسر العزلة عن التراث وتقديمه كجزء أصيل في حوار الحضارات. وهنا تصبح الفلسفة لغة مشتركة تذوب الفروق بين الشرق والغرب، مؤكدة أن الموقف الفلسفي هو الروح التي تعطي الأدب استمراريته. وعليه يتماشى خطاب إبراهيم فاضل مع أهداف نقد النقد الحديث، مدعياً أن المعري لم يكن شاعرًا يجمل الكلمات فقط، بل كان عقلًا فلسفيًا يمارس النقد الوجودي عبر الشعر، متحديًا الأفكار السطحية التي حاولت تجريده من عمقه المعرفي تحت ذرائع الانضباط المنهجي أو النفعية المادية.

وقال الجبوري بحق نقد شوقي ضيف : " هذا الاتجاه الايضاحي لا يمكن نكران أحقيته، ولكن ما يدعو الى التريث بقبول ذلك هي المغايرة في الخطاب من حيث التعاطي مع ما هو مسلّم به؛ فشوقي ضيف ينكر ان تكون للمعري نظرة فلسفية تصلح أن تكون مميزة تقترب في فحواها العام من الفلسفة نفسها، فهو لا يرى في اللزوميات أي شيء جديد يمكن درجه تحت هذا المسمى حتى وان كان شتات فلسفة".(جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر ،الجبوري،٢٠١٣: ٤٦٠) .

تتمحور المشكلة الأساسية في دراسة أبي العلاء المعري بشأن العلاقة بين الفلسفة كفكر مجرد والشعر كأداة جمالية. هذه المشكلة توضح لنا صراعاً قيمياً يبدأ من اختلاف الرأي حول مفهوم الفلسفة نفسها. فبينما يرى بعض المفكرين أن الفلسفة أمر ضروري للوجود وأن الفيلسوف قد لا يفهم في زمنه لأن عمله يتصل بجوهر الحقيقة وليس برغبات العصر، فإننا نلمس وجود تيارآخر يعدها مجرد تأملات لا تفيد شيئًا، ويطالب بالتركيز على الحياة والعلوم العملية، مؤكدًا أنه يجب أن نعيش أولاً ثم نفكر فلسفيًا بعد ذلك. هذا الصراع هو الذي شكل تاريخ النقد حول المعري، فنيكلسون يعترفبأهمية أفكار المعري الفلسفية لكنه يراها غير منظمة ويفقدها النظام. فهو يجدها أفكاراً مبعثرة بلا ترتيب، وهذا الحكم يقيم العبقرية الفلسفية بمعايير تقليدية، متجاهلاً أن تشتت الأفكار عند المعري يعكس واقع التجربة الوجودية التي ترفض حصر الحقيقة في قالب منطقي واحد، مفضلة تسجيل الحركة القلقة للوعي تجاه الموت والمصير.ويظهر دور نقد النقد عند الدكتور سامي شهاب الجبوري في تحليل هذه الأحكام، فقد أوضح أن ما يعده البعض غياباً للتنظيم هو في الواقع استراتيجية وعي ترفض القيود. وقد دعم هذا الرأي برلاين عندما وجد في اللزوميات استعمالات أدائية منحتها طابع الإبداع الفريد. ويؤكد الجبوري أن فلسفة المعري ليست مجرد ترف بل تمثل روح الأداء التي ميزته عن شعراء كبار مثل إمرئ القيس وجرير وغيرهما الذين على الرغم من عبقريتهم الشعرية، فانهم لم يمتلكوا رؤية فلسفية واضحة. وفي إطار هذا الإنصاف يأتي خطاب إبراهيم فاضل ليقدم المعري والمتنبي كطرفين في حوار عالمي مع فلاسفة الغرب، مقترحاً أن هناك تكافؤاً معرفياً يجعل من القصيدة مساحة لتبادل الأفكار ومنظوراً يرى من خلاله الشاعران العالم، مما يلغي التبعية الثقافية ويبرز أن الفلسفة فعل إنساني يتجاوز الحدود. لكن هذا الاتجاه التفسيري يواجه النزعة المنهجية المحافظة التي يمثلها شوقي ضيف الذي أنكر وجود نظرة فلسفية مميزة لدى المعري، ويرى أن اللزوميات تفتقر إلى الجديد الذي يجعل منها فلسفة حتى لو كانت متفرقة. إن هذا الإنكار يمثل تحدياً للنقد الذي يقيد الإبداع بمفاهيم ضيقة، بينما تثبت حركة الخطاب النقدي التي رصدها الجبوري أن خلود المعري ينبع من كونه وظف الفلسفة كأداة لصمود العقل ضد زوال المادة. فقد تفلسف المعري ليس لأنه انتهى من الحياة، بل ليوضح لنا كيفية مقاومة جوع المعنى، محولاً لغته من مجرد وسيلة للتواصل إلى كيان فلسفي يتحدى الزمن ، ويظهر أن الفلسفة الحقيقية هي التي تحرر العقل من قيود الأنظمة الجامدة وتفتح أمامه آفاق التساؤل المستمر.

ثانيا : الاتجاه الفكري

يظهر الاتجاه الفكري في شعر أبي العلاء من موقف ينتقد المجتمع والسياسة والأخلاق. لذا يدرس الناقد سامي الجبوري هذا الموضوع في سياق "نقد النقد"، فهو يحلل كيف تفاعل النقاد مع آراء المعري الجريئة، وكيف عكس شعره صراع العقل مع التقليد في بيئة فكرية غير مستقرة. ونعلم أن تأثير أبي العلاء على الأفكار لم يكن واضحاً أو قوياً في بداية حياته، بل كان تأثيره أكثر ظهوراً في أدب العزلة، ولاسيما في اللزوميات. كما أن موقفه تجاه المرأة في شبابه لم يتسم بالعداء غالباً، بل كان كما يعتقد محمد سليم الجندي انه كان فيه جانب إيجابي ولاسيما عندما ينظر إليها كأم، فهو يعدها رمزاً جميلاً للتضحية والإيثار.(ينظر: الجندي:١٩٦٠)

وتعد الظروف الاجتماعية السيئة في عصره وعنايته الزائدة بالمرأة من أبرز الأسباب التي منعته من الزواج. فضلا عن انه كان فقيراً ويعيش حياة صعبة، وهو ما لا تستطيع أي امرأة قبوله. وإذا كانت تلك الحياة غير مقبولة للداعي ، فكيف ستقبلها امرأة؟ أما بالنسبة للحديث عن العجز الجنسي الذي ذكره الأستاذ أمين الخولي، فهو لا يتوافق مع العديد من آرائه في كتاباته.(ينظر: سمهود:٥٨)

لقد درس أبو العلاء صعوبات الحياة وآلامها ووجد أنها مليئة بالشقاء والعذاب. وانزعج عندما رأى أن الناس يعيشون في غفلة ولا يدركون ما يدور حولهم. والأكثر من ذلك لاحظ أنهم يسعون للزواج والإنجاب وكأن معاناتهم هي شيء ثمين يجب الحفاظ عليه. لذلك بدأ يحث الناس على ترك الزواج وتجنب النساء لأنها ستكون سببا في الشقاء. وليقنع الناس بذلك بدأ يوضح لهم الأضرار السيئة التي يمكن أن تترتب على الزواج ويبرز المآسي عسى أن ينفروا عنها.(ينظر: أبا زيد : ٤٤٧) ، وعليه يبدأ الناقد الدكتور سامي في مناقشة الفكر لدى المعري بوصفه نظامًا فلسفيًا مستقلًا. هو يرى أن النص ليس مجرد كلمات مرتبة، بل هو يعكس مواقف وجودية وأفكار قوية. ويظهر المعري من خلال هذه القراءة كمفكر يسعى للتساؤل عن أصل الوجود ومصير الإنسان، مما جعل نصوصه مكاناً لتبادل الآراء وتعدد القراءات التي تتجاوز الزمن. وتظهر الرؤية الفكرية للمعري شكوكًا منهجية ورغبة في البحث عن الحقيقة، وهذا ما دفع الشاعر إلى صياغة آراء تتعارض مع الأفكار السائدة. فالفكر هنا هو القوة الأساسية التي تضيف عمقًا فلسفيًا للنص، محولاً التجربة الشعرية من مجرد عمل أدبي إلى تساؤلات عميقة عن الحياة والقدر.

ينطلق الناقد سامي الجبوري من زكي المحاسني محللاً رأيه قائلاً: " وفي هذا الرأي صحة، فالأنا العلائية تصارع الأنا الجماعية؛ فنقده الاجتماعي يصب في مصلحة الجميع ولكنه في اساسه نابع من جذور الانا الذاتية المتكونة بفضل العوامل الداخلية الشخصية والخارجية على السواء؛ فهو يسدي نصحه للآخرين بعد اسقاط ما في نفسه من تلك المكابدات، لهذا جاءت اشعاره بأحاسيس صادقة يشعر فيها ابناء المجتمع شعوراً خاصاً ، وهي اساساً تخص كل واحد منهم ، وانه حرك نوازعهم الانسانية لادراك مصاعب الحياة وأين يكمن الحق والباطل، فحاله كحال كثيرين عاني ثم بين تلك المعاناة في نتاجاته ، لا كالذي يخوض في تيار الاصلاح الاجتماعي ولم يمر بتجربة قاسية كتجارب المعري..." (جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر،الجبوري:٩٤-٩٥)

يفتتح الناقد سامي الجبوري مسار الاتجاه الفكري من خلال دراسة آراء زكي المحاسني، إذ يقوم بإعادة قراءتها وتحليلها. ويشير إلى وجود جدلية بين "الأنا العلائية" و"الأنا الجماعية"، مما يجعل فكر المعري يتجاوز النظريات الاجتماعية الباردة ليصبح نتيجة لصراع ذاتي مؤلم. ويؤكد الجبوري من خلال هذا التحليل أن الرغبة في الإصلاح لم تكن مجرد ترف فكري، بل كانت تعبيرًا عن معاناة شخصية وقدرة على تحويل الألم الفردي إلى وعي جماعي، مما منح مشاعر المعري مصداقيتها من خلال تجارب حقيقية وصعوبات قاسية. كما يُظهر الناقد براعته في استنتاج أن المحرك الرئيس للموقف الفكري هو الصراع بين الجذور الذاتية والرغبة في تحسين المجتمع. وهذا ما أعطى النصوص قوة لتحفيز المشاعر الإنسانية لدى المتلقي ودفعه للتفكير مجددًا في مفاهيم الحق والباطل. ووعليه توصل الجبوري إلى أن الفكر عند المعري تطور من "نصيحة" بسيطة إلى "رؤية وجودية" ناضجة، تستمد قوتها من كونها نتاج تجربة صعبة، مما يجعل خطابه الفكري يشكل هيكلاً مستقلاً يفرض نفسه عبر تداخل الذاتي بالعام.

وفي مضمار آخر قال الناقد سامي الجبوري بحق رأي الناقد مارون عبود :" وبحسب هذا القلق حاول عبود سحب المعري نحو الفاطمية من خلال استدلاله على ما في شعره من موضوعات ومعالجات تتفق وتلك الفلسفة؛ ففي قضية المرأة والنسل قال عبود فرضيته التي رآها مناسبة، وهي التي دعت المعري لاختيار هذا المسلك، مختلفا بذلك عن كل ما جاء به النقاد امثال زكي المحاسني، ويسري سلامة، ومحمد الحبيب حمادي، وهادي العلوي عندما بينوا سابقا ان عزوف المعري عن الزواج والنسل كان بدوافع اجتماعية، واقتصادية، ونفسية، واخلاقية..."(جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر،الجبوري:١٨٩).

يستدعي الدكتور سامي محاولة مارون عبود لجذب المعري نحو الفلسفة الفاطمية، معتبرًا أن هذا يمثل قراءة تهدف إلى وضع قلق المعري في سياق أيديولوجي ومذهبي معين. ومن خلال استشهاد عبود بموضوعات مثل المرأة والنسل فانه سعى لإخراج موقف المعري من إطار شخصي بحت إلى سياق فلسفي ديني، مما يجعله يختلف بوضوح مع آراء نقاد آخرين مثل زكي المحاسني وهادي العلوي الذين اعتبروا أن هذا الانزلاق ناتج عن أسباب اجتماعية ونفسية وأخلاقية. ويكشف النقد هنا عن رغبة في تحرير فكر المعري من تفسيرات نمطية؛ إذ يرى عبود أن موقف المعري تجاه النسل هو خيار فلسفي فاطمي، بينما يميل السياق النقدي العام الذي يقدمه سامي الجبوري إلى اعتبار ان فكر المعري هو نتاج صراعات أكثر تعقيدًا لا ترتبط بمذهب معين. ويظهر تباين آراء عبود مع يسري سلامة والحبيب حمادي وكيف تحولت قضايا المرأة والنسل عند المعري إلى قضية صراع تأويلي بين من يرونها تعبيرًا عن ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة، ومن يرونها التزامًا بمبادئ فلسفية أو مذهبية باطنية، مما يعزز صورة المعري كمفكر قلق لا يمكن تصنيفه على نحو منضبط .

ويختتم الناقد سامي الجبوري بعد عرضه لمجموعة من آراء النقاد ونعت المعري بالزندقة والالحاد بالقول :" وفي ختام الآراء التي نعتت المعري بالزندقة والكفر والإلحاد بالاستناد الى ما في شعره ومجموعة من أقواله ومصنفاته هل لنا التسليم بها جملة وتفصيلا من دون بيان اين تكمن الحقيقة في ذلك ؟ . من المؤكد ان المعري كان قد تخبط في مشروعه الفكري نتيجة ما شابه من اضطراب وتناقض وما نحو ذلك مما لا يمكن محوه من خطابه الشعري، وهي الثغرة التي استطاع من خلالها هؤلاء الانطلاق منها والتأسيسلآرائهم عليها " (حركة الخطاب النقدي القديم،الجبوري:٨٩) .

واجه الناقد الدكتور سامي الاتهامات الشديدة التي وصمت المعري بالزندقة والإلحاد، رافضاً قبولها على وفق هذه الصورة الا بعد فحص دقيق للحقيقة. ويرى الناقد أن أفكار المعري لم تكن ثابتة، بل كانت مليئة بالاضطراب والتناقض، مما أدى إلى ظهور ثغرات واضحة في شعره استغلها خصومه لدعم آرائهم الهجومية. وتظهر هذه النظرة النقدية توازناً؛ إذ إن الاعتراف بوجود تناقضات في نصوص المعري لا يعني إدانته، بل يساعد على فهم القلق الذي عانى منه الشاعر. ويبرز الدكتور سامي الصراع الفكري كنتاج طبيعي لتعارض الرؤى الوجودية لدى المعري، محاولاً تفسير هذا الاضطراب ليس كمخالفة للدين، بل كحالة ذهنية معقدة تتأرجح بين الشك واليقين، مما جعل شعره أرضاً خصبة للتفسيرات المتطرفة التي لم تتمكن من استيعاب خصوصية هذا الخطاب وتنوع أفكاره.

وفي النهاية يظهر الاتجاه الفكري لدى المعري كمساحة مليئة بالقلق بدلاً من الاستقرار. وقد أوضح الناقد سامي الجبوري أن قوة هذا الفكر تكمن في تناقضاته وثغراته قبل أن يتماسك. ولم يكن المعري يسعى إلى تبني مذهب معين، بل كان يعبر عن أزمة وجودية وشعور بالغربة ؛ ففي بعض الأحيان نراه مصلحاً اجتماعياً يتحدث بصوت المجتمع، وفي أحيان أخرى يظهر كفيلسوف غارق في رمزية المذاهب، وأحياناً أخرى يكون شاكاً حائراً يتهمه خصومه بالزندقة.

إن هذا التنوع في الآراء من المحاسني إلى عبود وصولاً إلى تهم الإلحاد يثبت للناقد الجبوري أن فكر المعري لم يكن نصاً ميتاً، بل هو طاقة ذهنية متجددة تستمد استمراريتها من قدرتها على تقديم الأسئلة الكبيرة. ولذلك يظل خطابه الشعري بعيداً عن الانحصار في قالب فكري واحد ويدافع عن صدق المعاناة الإنسانية بأسمى صور تجردها.

ثالثا : الاتجاه البلاغي والتركيبي

إن المضمون عند المعري مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالبناء الفني. ويعد الاتجاه البلاغي "الهندسة اللغوية" التي أنشأ بها عوالمه. وفي هذا الاطار سلط الناقد سامي الجبوري الضوء على لغة المعري التي كانت أحيانًا غريبة ودائمًا محكمة التركيب. ويعد أن "لزوم ما لا يلزم" كان وسيلة بلاغية لتعميق المعنى وليس مجرد زينة لفظية.واللغة هي العنصر الأساسي الذي يتكون منه النص الشعري، وهي التي تجعل وجوده ممكنًا. ويختلف الشعراء في قدراتهم على تحقيق ذلك؛ فبعضهم لديه مهارات لغوية عالية وثقافة واسعة، مما يساعدهم على الإبداع في استعمال الكلمات وتركيبها. بينما نجد آخرين قدراتهم محدودة في هذا المجال. لقد كان أبو العلاء من النوع الأول، فلديه قدرة لغوية كبيرة وذاكرة نادرةاستطاع من خلالها أن يجمع الكثير من المفردات اللغوية، مما جعله بارزًا في الشعر العربي بفضل توظيفه المتنوع للكلمات. (ينظر: زاهد : ١٩.)

وكان طه حسين رائدًا في هذا المجال؛ فقد أشار إلى أهمية اللغة بالنسبة لأبي العلاء وعنايته الكبيرة بها. وقد ذكر أن العلوم اللغوية كانت من أبرز الفنون التي درسها المعري ، فهي التي زودت شعره ونثره بألفاظ جديدة ومصطلحات علمية، كما قضى أيام عزلته في تعلمها وتعليمها للناس.(ينظر: حسين: ٢٢٦)

كما ان الموسيقى ليست مجرد زينة أو إضافات غير ضرورية، بل هي الجزء الأساس في بناء الشعر. وتشكل الموسيقى عنصراً مهماً في فن الشعر لأنها تضيف قيمة فنية للقصيدة. لذلك أولى الشعراء العرب القدماء عناية كبيرة بكل ما يساعد على تحقيق التوازن الموسيقي والنغمي في قصائدهم. وقد ركزوا على عنصرين رئيسين هما الوزن والقافية. ويعود هذا لاسباب عدة، وأهمها هو أن الاستماع كان الوسيلة الأساسية للتواصل بين الشاعر والجمهور، فالقصيدة تصل إلى الأذن قبل أن تثير العين. وعليه ظل المجتمع العربي قبل الإسلام يهتم بتطوير الفنون البلاغية ويعمل على تعزيزها. وخلال هذه القرون كان الشعر يمثل الصوت الذي يتردد في الآذان ويعلمها كيفية التمييز بين الكلام الذي يحتوي على الإيقاع والنغم. ونرى أعلى درجات الموسيقى في أوزان الشعر وقوافيه.(ينظر: انيس:١٩٦-١٩٧)

التزم المعري في ديوانه "اللزوميات" بثلاث قواعد ثابتة فرضها على شعره، على الرغم من أنه لم يكن يرغب في الالتزام بها. فقد حبس نفسه في شعره كما حبس نفسه في حياته داخل ثلاثة سجون ذكرها في بعض قصائد "اللزوميات". ولهذا السبب أطلق على ديوانه هذا الاسم الذي يعكس فلسفته: (اللزوميات) أو (لزوم ما لا يلزم). وقرر أن ينظم قصائده ومقطعاته على وفق ترتيب البحور العروضية التي وضعها الخليل، ليس فقط من حيث الأوزان الأصلية، بل كذلك بحسب تشكيلاتها الموسيقية المختلفةالتي تظهر من خلال تنوع أعاريضها وأضربها. وساعده علمه الواسع بالعروض العربي على ذلك، وهو علم مكّنه من تقديم دراسات متعددة تعكس فهمًا عميقًا بأصوله وفروعه وأسراره الموسيقية. وابتدأ بالبحر الكامل ثم انتقل إلى باقي البحور بحسب ترتيبها المعروف، ولم يهمل سوى ثلاثة بحور: المضارع والمقتضب والمتدارك. وقد يكون سبب ذلك هو أن الوقت لم يسعفه لإنجازها، أو أنه انشغل بعمل أدبي أو علمي آخر كان ينوي العودة إليه لاحقاً لكن الفرصة لم تتح له. وضمن هذا التقسيم العروضي، قام بترتيب "اللزوميات" بشكل داخلي على وفق تشكيلات البحور.(ينظر:الشمري:٨٤)

إن الاتجاه البلاغي والتركيبي لدى أبي العلاء لم يكن مجرد عرض لغوي، بل كان يعكس طريقة تفكير معقدة تتطلب البحث والتدقيق. ففي شعره تجمعت قوة الصياغة مع عمق المعنى، مما جعل القصيدة تبدو كهيكل متماسك يصعب تفكيكه. ويظهر هذا الاتجاه على نحو واضح عندما يتناول المعري "الدرعيات"، إذ تحولت كلماته إلى حلقات سردية ولغوية تتميز بالإتقان مثل صنع الدروع. كما انه حول الوصف المادي إلى تجربة ذهنية شاملة لفهم هذه البنية المعقدة وكشف أسرار جمالها، لذا سنستعين بنصوص الناقد الدكتور سامي الجبوري الذي قدم تحليلاً نقدياً دقيقاً استطاع من خلاله متابعة هذه التحولات الأسلوبية وفك شفراتها البلاغية في شعر المعري. وعند متابعة هذا الاتجاه لدى الجبوري نلاحظ أنه يعتمد على أساس تراثي قوي. ويستند إلى شهادة ياقوت الحموي الذي وصف غزارة المفردات في لغة المعري. ويوظف هذه الشهادة كنقطة انطلاق نقدية لفهم سر القوة التركيبية في شعره. ويقول الجبوري : " فهذا النص يحمل ملامح التعاطف الواضحة مع المعري على الرغم من كون خطابه اتسم بالضدية من نتاجه من حيث التأثير الديني، ولكنه على صعيد الاهتمام بالجانب العلمي والادبي لم ينكر ما قدمه المعري وجاء به، فهو وافر العلم، وذو شعر جيد، وكلام جزل، وعلى دراية بخفايا اللغة كونه عالما بها وغير ذلك من الاوصاف" (حركة الخطاب النقدي القديم حول شعر أبي العلاء المعري،الجبوري:١٣٩)

يبدأ الناقد سامي الجبوري دراسته لأعمال المعري من خلال تحليل رأي ياقوت الحموي ، إذ تجاوز هذا التحليل من مجرد التوثيق التاريخي والميل ليكون نقدًا نقديًا. وكشف الجبوري جوانب التعاطف المخفي في كلام ياقوت، على الرغم من وجود مواقف أيديولوجية ودينية صارمة لديه. ومن خلال تحليل العلاقة بين العقيدة والفن، أثبت الجبوري أن قدرة المعري على الإبداع كانت أقوى من قيود الاختلافات، فقد أجبرت قوة الكلمات وثراء اللغة ياقوت على الاعتراف بتميز المعري الأدبي. وحول الجبوري أوصاف ياقوت مثل "الكلام الجزل" و"الدارية بخفايا اللغة" من مجرد صفات تاريخية إلى أدوات تفسر التركيب الشعري للمعري. فالجزالة عند ياقوت تمثل في جوهرها النظام الهندسي . كما يكشف عن ما لم يُقال عن هذا التعاطف التاريخي عن سيطرة الجمال والبلاغة على الفكر، مما جعل من "سقط الزند" مكانًا يحظى بالاحترام الفني حتى لدى أولئك الذين عارضوا المعري فكريًا.

وينتقل الناقد سامي الجبوري بعد ذلك إلى ابن أبي الحديد(ت٦٥٥هـ)قائلاً : " كما كانت لابن أبي الحديد رؤية نقدية ولكنها عابرة تنم عن ذوقية ووصفية في الوقت نفسه، فقد أشار الى ان المعري نظم شعرا أسماه اللزوميات وجاء في ديوانه هذا بشعر فيه من الرديء والجيد واكثره متكلّف، وهو حكم عام على ديوان ضخم يحتاج الى التروي والاناة لفك مغالقه، والوقوف على ركائز جمالياته التصويرية والاسلوبية وما الى ذلك، فكيف إذن اختزل الأمر بهذه البساطة كغيره من النقاد..."(حركة الخطاب النقدي القديم حول شعر أبي العلاء المعري،الجبوري:١٤٠)

تظهر براعة الدكتور سامي في تحويل الأوصاف العامة التي قدمها ابن أبي الحديد إلى معايير دقيقة تفسر الأسلوب التركيبي لدى المعري. فجزالة اللفظ وغموض الدلالة ليستا مجرد صفات بلاغية، بل تشكلان الأساس الذي قامت عليه لغة المعري. ومن الناحية التركيبية يشير

الدكتور سامي إلى أن المعري يوظف التشبيك اللفظي، مما يجعل الجملة الشعرية مترابطة مثل نسيج الدرع. ويعزز ذلك الاستعمالالمكثف للأدوات النحوية والترتيب، مما يخلق بناءً قوياً لا يمكن فهم معناه إلا من خلال الربط بين نهاية البيت وبدايته، مما يتطلب من المتلقي والناقد إجهاد الفكر لفهم هذا التعقيد. أما في ما يخص البلاغة، فإن الجبوري يدرس قدرة المعري على دمج قوة الكلمات مع مرونة المعاني؛ فاللفظ لديه يظهر بصلابة، ولكنه يصل إلى عمق المعاني من خلال استعارات ميكانيكية تصف الحركة والجوهر بدلاً من البقاء على السطح. إن هذا التداخل بين قوة البناء وعمق المعنى يفسر انتكاسة ابن أبي الحديد؛ فقد تحولت البلاغة من مجرد زينة إلى أداة فنية قوية، مما جعل الناقد القديم يعترف بتفوق المعري في المعرفة والأسلوب، وفي نهاية المطاف انتصرت جودة التركيب على المواقف الفكرية المعارضة، وتحولت القصيدة إلى هيكل معماري يصعب نقده." لو تأملنا في هذه الأسطر لوجدنا فيها وصفا يدل على ذوق الكاتب وإبداعه في رسم هذه اللوحات اللغوية الجميلة ."(رواية شواطئ الدم شواطئ الملح لابراهيم حسن ناصر ،عبداللهوخضر ،مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية:٦)

كما وقف الناقد سامي عند رأي ابن سنان الخفاجي(ت٤٦٦هجرية)عند عرضه للآراء النقدية التي قيلت في حق المعري قائلاً : " كما أن الخفاجي طالعنا برأي مفاده: إن طريقة المعري في لي الالفاظ واخفاء معانيها طريقة متفردة وهي ليست من الفصاحة، واسلوبه الملغز هو أسلوب يختلف عن ما جاء به غيره من الشعراء، ولكن ما يجدر من القول هو أن هذا الميل وان كان متصادما مع الفصاحة فقد حقق للمعري كسبا جديدا ؛ فالتفرد بصنيع ما شهادة كفيلة لاعلاء شأن صاحبها، وما طريقة المعري في لي الالفاظ واستخدام القوافي والتوظيف اللغوي والاسلوبي إلا دليل على رفعة شعره ومكانته ؛ وهي شهادة نالها من معاديه قبل مناصريه. "(حركة الخطاب النقدي القديم حول شعر أبي العلاء المعري،الجبوري:١٥٠)

يمثل نص الخفاجي نقطة انطلاق مهمة لفهم أسلوب المعري وقيمته في الأدب. ويعتقد الناقد سامي الجبوري أن اتهام الخفاجي للمعري بأنه يغير معاني الكلمات ويخفيها يعد دليلاً على كسر النمط التقليدي في تلقي النصوص. بينما كانت الفصاحة المعتادة تتطلب وضوح المعاني، وكان المعري يميل إلى التعقيد الذهني، مما عده الخفاجي خروجًا عن العادي. لكن الجبوري يرى أن هذا الحكم هو مشروع جمالي يهدف إلى ابتكار لغة تناسب عمق الموضوعات التي يتناولها، مثل الدرعيات وغيرها.

ومن خلال تحليله يكشف الجبوري أن هذا الأسلوب الغامض هو نظام هندسي بديل؛ فاستعمال القوافي واللغة ليس مجرد تعقيد، بل هو محاولة لتحدي الأدوات اللغوية التقليدية ودفعها لحمل معانٍ جديدة. إن استعمال المعاني على نحو خاص الذي انتقده الخفاجي يُعد في نظر سامي الجبوري عملية ديناميكية لتشكيل اللغة، ما منح المعري تميزًا يستحق عليه التقدير والمكانة العالية. فقد جعلت مهارته في صياغة الكلام شعره مدرسة مستقلة تختلف عما قدمه الشعراء الآخرون. وفي النهاية يصل الجبوري إلى أن انحراف المعري عن معايير الفصاحة السائدة لم يكن عيبًا، بل كان إنجازًا فنيًا أثبت قدرته على إنشاء نظام بلاغي موازٍ، فقد أصبحت الصعوبة والغموض مزايا تؤكد تميزه، مما جعل منتقديه ومؤيديه يعترفون بهذا التفرد الذي يجمع بين الرفعة والمهارة الدقيقة.

وفي كتابه جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر يقف الناقد سامي الجبوري عند خطاب مصطفى السعدني ويقول بحقه: " وبعد استعراض الهيكلية ينبغي بيان مكامن القيمة في خطاب السعدني، فهي في مجملها العام تمحورت في محاولة تسليط الضوء على القيمة الدلالية للتوظيفات اللغوية التى جاء بها المعري؛ ومدى ارتباطها بالعالم الداخلي للمعرى؛ لان التلونات اللفظية المبثوثة فاللزوميات ما هي إلا صورة من صور التعويض عن النقص الذى يشعر به المعري ... ولكن ليس بشيء مطلق ومعوّل عليه تعويلا كاملا، وهي بذلك تمثل عالما من الرموز وليس شيئا متطابقا مع العالم الواقعي،" (جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر ،الجبوري:٢٨٢)

تظهر مهارة الناقد سامي الجبوري في تحليل خطاب مصطفى السعدني عندما يربط بين المعاني التي تحملها الكلمات والعالم الداخلي للمعري. فهو يرى أن تلك التنوعات في التعبير ليست مجرد زينة بلاغية، بل تمثل تعويضًا عن الافتقار الحسي الذي عانى منه الشاعر. ومن ناحية التركيب تتحول لغة المعري إلى بناء بديل يعوض غياب الرؤية البصرية؛ فهو يقوم بإنشاء هياكل لغوية معقدة تعكس عالمًا من الرموز المنفصلة عن الواقع المادي. وهذا يجعل النص الشعري بمثابة بنية تعويضية تمنح الشاعر القدرة على التحكم بالكلمات وتوظيفها كبديل عن عجزه في السيطرة على الأشياء. كما استند الجبوري الى رؤية السعدني ليؤكد أن بلاغة المعري انتقلت من التطابق مع الواقع إلى الرمزية المطلقة. فالأمثال والاستعارات لا تهدف لمحاكاة ما هو خارجي، وإنما تجسد انكسارات الداخل وفلسفته. وهذا يجعل البنية البلاغية وسيلة للابتعاد عن العالم المادي والدخول إلى فضاء ذهني خاص. وعلى الرغم من ذلك يمارس الدكتور سامي نقد النقد بذكاء عندما يضع قيدًا منهجيًا على خطاب السعدني؛ فهو لا يقبل الاعتماد الكامل على التفسير النفسي فقط، ويشير إلى أن هذا التميز في التركيب واللغة هو فعل

إبداعي مقصود يتجاوز مجرد رد فعل تجاه العاهة الجسدية. ومن هنا يصل إلى استنتاج مفاده أن شعريّة المعري هي نتيجة تفاعل بين دافع ذاتي ورغبة فنية واعية، مما جعل القصيدة تأخذ شكلًا رمزيًا ومعماريًا مستقلًا، ويبرز حضوره الفني كعالم متكامل القواعد والأسس.

ويستعرض الناقد سامي تحليل زهدي صبري الخواجا حول التغيير الكبير في دور الأسلوب عند المعري بقوله: "فالقصيدة كما يراها الخواجا في جملتها نظرات فلسفية وحكم تدعو الى اشتغال الفكر الانساني بهذا الكون الواسع والوجود ، وامتاز اسلوبه في الغزل بالطرافة والدعابة واشتغال الفكر، واسلوبه كاسلوب السابقين من حيث الوصف والتشبيه إلا انه كان لا يركز على الجوانب الحسية الظاهرة وانما يعالج الجوانب النفسية التي يشعر بها؛ فمال إلى معالجة الموضوع من نواح فلسفية وحكمية. كما امتاز اسلوبه في الفخر بالاسلوب الثائر الصارخ المناسبة لاسلوب فخره في بداية حياته؛ لان اللزوميات لم تحتو على غرض الفخر فقد افتخر بنفسه وأهله وضمّن ذلك حكمه ورؤيته في الحياة، وفي أسلوب شعره الوصفي مال الى دمج الوصف الحسي بالمعنوي، وكذلك التركيز على البصريات على الرغم من افتقاده لحاسة البصر، وذلك رغبة منه في تعويض نقصه جراها، أما أسلوب حكمه في الهجاء فقد امتاز بالاقذاع والفحش في بادىء الامر ، ولكنه اكتفى بعد ذلك بتجريد المهجو من الفضائل ونفي المثل العليا "(جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر ،الجبوري:٣٠٤)،

يتأمل الناقد الدكتور سامي في خطاب الخواجا ، ويرى انه يبرز تحولاً ملحوظاً في وظيفة أسلوب المعري. فهو يربط بين بساطة اللغة ورغبته في تناول أفكار فلسفية تتجاوز النمط التقليدي للكتاب السابقين. ولم يكتفِ المعري بالهياكل الوصفية المعتادة، بل قام بدمج الوصف الحسي مع معانٍ عميقة ضمن صياغة لغوية معقدة. وكان الهدف من هذا البناء تعويض غياب حاسة البصر عبر استعمال صور لفظية مكثفة، مما جعل القصيدة تبدو كأنها بناء معماري يسد الفجوة الناتجة عن فقدان الحواس ويحولها إلى طاقة فكرية بدلاً من التركيز على الظواهر الخارجية فقط. هذا التداخل بين القوة البنائية وعمق المعنى يوضح كيف تحولت الصورة من تقليد إلى مجال للتفكير النقدي. إذتخلت البلاغة عن طابعها الزخرفي لتصبح أداة عقلانية تغوص في الجوانب النفسية والوجودية. وهذا يفسر تغيّر أسلوبه في الهجاء من الشتائم المباشرة إلى التجريد الأخلاقي، وفي الفخر من الاعتزاز الذاتي إلى ثورة واضحة ممزوجة برؤيته الكونية. كما يُظهر نقد الدكتور سامي قدرته على توضيح هذا التداخل، مؤشراً إلى أن تميز المعري جاء من تحويل عاهته إلى وسيلة لإعادة صياغة الأشياء لغوياً. فلم يكن المعري يصف الواقع، بل كان يبني رؤية كونية مستقلة ، فقد كانت جودة الكتابة وعمق الفكر يفوقان قيود الحواس. وهكذا أصبحت القصيدة نظاماً رمزياً منضبطاً يكسب المعري احترامه الفني بفضل قدرته الفائقة على دمج المتناقضات الحسية والمعنوية في قالب واحد يصعب تكراره.

ونستنتج مما ذُكر أن شعر المعري على وفق رؤية الناقد الدكتور سامي شهاب الجبوري، لم يكن مجرد نص أدبي يُوصف، بل كان ساحة لاختبار فعالية المناهج النقدية عبر الزمن. وتمكن الجبوري من إعادة قراءة دواوين المعري (سقط الزند، والدرعيات، واللزوميات) بنظرة نقدية دقيقة، مما أظهر اختلافاً كبيراً في كيفية استقبال النقد بين الفترات القديمة والحديثة.

إنَّ القيمة الأساسية التي أسسها الدكتور سامي شهاب الجبوري في دراستيه تكمن في دعمه للمتلقي الواعي. فهو يؤكد أن عبقرية المعري تتألق أكثر كلما اقتربت من أساليب النقد الحديثة التي تربط الفن بالواقع الاجتماعي والإنساني. لذا يظل شعر المعري في نطاق رؤية الجبوري عملاً فنياً وفلسفياً خالدًا يصعب فهمه بسهولة ، بل هو يفتح آفاقاً واسعة للتفسير تجمع بين أصالة التراث وحداثة الفهم. وهذاما يجعل تجربة المعري تجربة تتجاوز الزمن بامتياز.

الخاتمة

من خلال الرحلة النقدية التي قام بها الناقد الدكتور سامي شهاب الجبوري، يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وهي كالآتي

• تمكن الجبوري من تغيير النظرة بشأن دواوين المعري ولاسيما "سقط الزند" و"الدرعيات" من مجرد كونها نصوصا وصفية إلى أعمال فنية غنية بالرموز الوجودية. وأصبحت الدرعيات رمزًا للمقاومة النفسية والثورة على الواقع الفاسد، وليست مجرد أداة حرب صامتة.

• كشف التحليل النقدي للجبوري عن الارتباك والتناقض في آراء عدد من النقاد القدماء مثل الحموي والقفطي تجاه "اللزوميات". وأثبت أن أحكامهم القاسية جاءت نتيجة عدم قدرتهم على فهم لغة المعري الغامضة وقصورهم في إدراك معانيه الفلسفية العميقة.

• استطاع الجبوري من خلال تبنيه لوجهات نظر تأويلية حديثة، إعادة الاعتبار لشعر "الدرعيات" ورفع قيمتها ، بوصفها مشروعًا فكريًا وثوريًا ناضجًا.

• أوضحت الدراسة أن الجبوري قدم رؤية نقدية توازن بين التاريخ والمعاصرة؛ فمن خلال إشادته بالدراسات الاجتماعية الحديثة، أكد أن شعر المعري يبقى وثيقة اجتماعية حيوية قادرة على التعبير عن القوانين الكونية والواقع الإنساني في كل زمان ومكان.

• أظهر نقد الجبوري مهارة المعري في استعمال "لزوم ما لا يلزم" ليس فقط كقاعدة لغوية، بل كوسيلة فلسفية تعكس تحكمه في المعنى وتوظيفه للغة للتعبير عن القلق الوجودي، مما جعل نصوصه نصوصاً معقدة يصعب فهمها بطريقة واحدة.

• أوضحت الدراسة أن أسلوب المعري في الدرعياتواللزوميات كان يتميز بالكثافة العالية والرمزية، مما جعل من الضروري على الناقد استعمال أدوات "نقد النقد" لفهم الموقف الفكري الحقيقي للشاعر بعيداً عن الاتهامات بالزندقة أو الوصف الضيق.

• أثبتت الدراسة من خلال ميزان الجبوري أن شعر المعري شكل وحدة فكرية مترابطة؛ فقد بدأ بتعبير قوي عن الذات في سقط الزند، وتطور إلى فلسفة عميقة للمواجهة في الدرعيات، ثم استقر كنهاية وجودية مليئة بالقلق في اللزوميات.

• أشارت الدراسة إلى أن صمت بعض النقاد القدماء أو اعتمادهم على نقل الآراء الجاهزة كان سبباً في تشويه صورة المعري. وقد نجح سامي الجبوري في كسر هذا "الحياد السلبي" من خلال تحليل النصوص وإعادتها إلى سياقها الفكري الصحيح بعيداً عن النقل المجرد.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١. أبا زيد، د. كمال: النزعة الفكرية في اللزوميات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

٣. الجبوري، د. سامي شهاب: جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر حول شعر أبي العلاء المعري – دراسة في نقد النقد، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

٤. الجبوري، د. سامي شهاب: حركة الخطاب النقدي القديم حول شعر أبي العلاء المعري – دراسة في نقد النقد، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

٥. الجندي، محمد سليم: الجامع في أخبار أبي العلاء المعري، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٢م.

٦.حسين،د.طه(إشراف):تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

٧. حسين، د. طه: تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة.

٨. حسين، د. طه: مع أبي العلاء في سجنه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، المملكة المتحدة، ٢٠١٤م.

٩. خليف، د. يوسف: في الشعر العباسي، نحو منهج جديد، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٠. خضير، بسمة رحيم: محمد سليم الجندي من أعلام العربية، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

١١. الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٩٦م.

١٢. زاهد،د.زهير غازي:لغة الشعر عند المعري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٣. شلواي، عمار: درعيات شاعر الليل أبي العلاء المعري – دراسة دلالية، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٤. عبود،مارون:أبوالعلاء المعري زوبعة الدهور،مؤسسةهنداوي للتعليم والثقافة،المملكة المتحدة، ٢٠١٩م.

١٥. ليفيناس، إيمانويل وآخرون: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة د. عزت قرني، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٦٥، ١٩٩٢م.

١٦. المعري، أبو العلاء: سقط الزند (ديوان)، شرح وتنسيق: نديم عدي، دار صادر، بيروت.

١٧. المعري، أبو العلاء: اللزوميات (لزوم ما لا يلزم)، دار صادر، بيروت.

ثانياً: الرسائل والأطاريح

١. بلخيرة، أ. بريك: أثر الحواس في بناء الصورة الفنية لدى المعري، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي ليابس (سيدي بلعباس)، الجزائر، ٢٠١٢-٢٠١٣م.

٢. سمهود، نعيمة سعيد أبو عجيلة: التجربة الشعرية عند أبي العلاء المعري، إشراف د. عبد النبي سالم قدير، رسالة ماجستير، جامعة طرابلس، ليبيا، ٢٠١٤-٢٠١٥م.

٣. الشريف، حميد شاكر صالح: بناء المعاني في درعياتأبي العلاء المعري – دراسة بلاغية تحليلية، إشراف د. عزمي فرحات عبد البديع، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٥هـ.

ثالثاً: الدوريات والمجلات

١. البلوي، خالد بن اسمير: التجديد في لزوميات المعري – دراسة وصفية تحليلية، المؤتمر الدولي التاسع للغة العربية، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٢٣م.

٢. الشمري، عمر أحمد نوري عكاب: الخصائص الفنية في شعر أبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ٢١، العدد ٤، ٢٠١٤م.

٣. عبد الله، د. إياد جوهر (ود. نوفل حمد خضر): رواية شواطئ الدم شواطئ الملح لإبراهيم حسن ناصر، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد ٦، العدد ٢، ٢٠١١م.

٤. عطا الله، د. محمود عبد الله محمد: الذات في ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري، مجلة كلية اللغة العربية بإيتايالبارود، جامعة الأزهر، مصر، المجلد ٣٥، العدد ٥، ٢٠٢٢م.

٥. خضر، د. نوفل حمد (ود. إياد جوهر عبد الله): الأسطورة والخرافة في شعر عبد الله البردوني، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد ٥، العدد ٢، ٢٠١٠م.

٦. مهدي، أ. م. د. عدنان كاظم: الرمز في درعيات أبي العلاء المعري، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٣، العدد ١، ٢٠٢٠م.